موقف المدرسة الماتريدية من الشكاك

د/ أرزاق فتحي السيد أبو طه

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

جامعة الأزهر

من٢٧٩ إلى٣٦٠

Matridiya School Standard Of Doubts

Dr/ Arzak Fathi Elsaeed. Abutah

Assistant Professor, Department of Creed and Philosophy - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Cairo - Al-Azhar University

موقف المدرسة الماتريدية من الشكاك

أرزاق فتحي السيد أبوطه
قسم العقيدة والفلسفة , كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة , جامعة الأزهر , القاهرة , مصر.
البريد الإليكتروني : Arzakfathie@azhar.edu.eg

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مذاهب الشك المطلق, والوقوف على أكبر ممثلي هذا النوع من الشك , وبيان كيفية الرد عليهم , وبيان الفرق بينه والشك المنهجي , و إبراز دور المدرسة الماتريدية في الرد على الشكاك , وقد اتبع في هذا البحث عدة مناهج اقتضتها طبيعة موضوعه , منها المنهج الاستقرائي وذلك من خلال استقراء مذاهب الشكاك , ومن خلال استقراء موقف المدرسة الماتريدية من هؤلاء الشكاك , ومنها المنهج المقارن وذلك من خلال المقارنة بين الآراء والمناهج ليتم الوقوف على التأثير والتأثر , أيضًا اتبع المنهج التحليلي وذلك من خلال تحليل نصوص أصحاب مذهب الشك للوقوف على الغرض منها وإظهار ضعفها ,و تحليل نصوص رواد المدرسة الماتريدية الذين ردوا بها على هؤلاء الشكاك لبيان قوة حججهم وسطاعة براهينهم ,وأخيرًا المنهج النقدي وكان ذلك من خلال نقد آراء أصحاب مذاهب الشك الهادم والرد عليها , هذا و قد توصلت في هذا البحث لعدة نتائج منها : الشك المنهجي يُعد وسيلة لغاية مأمولة وهي اليقين , هذا بخلاف الشك المطلق الذي لا غاية له , تُعد المدرسة الماتريدية من أوائل المدارس الكلامية في الرد على الشكاك ,وقد شملت ردود المدرسة الماتريدية أصناف الشك التي تندرج تحت نوع الشك المطلق , وقد اتسمت ردود المدرسة الماتريدية بالحنكة والشمولية مما جعلها صالحة لكل زمان يظهر فيه هذا الجحود والإنكار في أي شكل كان , أيضًا ترك لنا رواد المدرسة الماتريدية منهجًا محكمًا نستطيع أن ننتهجه في الرد على موجة الإلحاد اللا أدري التي ظهرت على الساحة العالمية الآن.

الكلمات المفتاحية : الشك المطلق؛ الشك المنهجي ؛ حجج ؛ وسيلة ؛ غاية .

Matridiya School Standard Of Doubts

Arzak Fathi Elsaeed. Abutah
Department Of Creed And Philosophy, Faculty Of Islamic And Arab Studies For Girls In Cairo, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.
Email: arzakfathie@azhar.edu.eg

Summary Search

This search aims to shed light on absolute doubts, and stand on the biggest representatives of this type of doubt, and indicate how to reply them and indicate the difference between it The systematic doubt, and to highlight the role of the Matridi school in responding to the doubt. In this research, has been followed by the nature of its theme, including inductive approach by induction of doubt sources, and by extrapolation of the Matridi school position These are the comparative approach by comparing the views and curricula to be identified and affected, also follow the analytical approach by analyzing the texts of the doctrine of doubt to find out and show their weakness, The analysis of the texts of the Matridi school leaders who responded to these doubts to indicate the strength of their proofs, and finally the cash curriculum and this was through criticism of the observative and response doctrines of doubt, this and has reached this Search for several results: Al-Manual suspicion is a way of up to a safe, which is uncertainty, other than the absolute doubt, the Matridi school is one of the early schools in responding to the doubt, and the school reactions included varieties Doubt falls under absolute doubt, the Matridian school responses were characterized by Hatta and Shamolia, which made it valid for each time shows this hole and denial in any form, also left us the leaders of the Matridi school a cursed approach that we can We approach the response to the union wave that has emerged on the global arena now.

Keywords: Absolute Doubt; Systematic Doubt; Arguments; Means, Very.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الحق المبين , الذي هدانا إلى نور اليقين والصلاة والسلام على الهادي الأمين الذي أرسله الله رحمة للعامين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فعلى الرغم من أن اليقين نعمة تستحق الحمد فلم يكن كل ما قابله من الشك نقمة ؛ لأن من الشك ما يصل بصاحبه إلى اليقين وهو ما يسمى بالشك المنهجي , وذلك ؛ لأن صاحبه اتخذه منهجًا وطريقًا سار عليه ليصل لمبتغاه , وعلى الطرف المقابل هناك نوع من الشك استحق الوصف بالنقيض المقابل للنعمة وهو النقمة وذلك ؛ لأنه نقمة على صاحبه ويصل به إلى الهلاك , ونقمة على من أخذ على عاتقه الرد على هؤلاء ؛ لأنه يتعامل مع عقول جامدة سواء كان هذا الجمود عن جهل أعماها أوعن قصد وعناد أضناها قصدوا به إثارة الفتن ؛ لذلك كانت مهمة من ينافح هؤلاء إرشاد الشاك إذا كان ضالًا وإفحامه إن كان معاندًا مضلًا , وهذا ما قام به كل من تعرض للرد على الشكاك , وقد كان من أوائلهم الإمام الماتريدي مؤسس المدرسة الماتريدية وقائدها ومعلمها الذي سار على نهجه من جاء بعده من رواد هذه المدرسة وهو الأمر الذي تميزت به المدرسة الماتريدية وهو السير على درب المعلم على خط وطريق واحد وهذا ما سيتضح أثناء البحث إن شاء الله .

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات التي تحدثت عن الشك ولكن بعد البحث والاطلاع تبين أنه لا توجد دراسة سابقة تحت هذا العنوان : موقف المدرسة الماتريدية من الشكاك .

أسباب اختيار الموضوع :

١- الموضوع جديد فلم أجد من كتب موضوع بهذا العنوان.

٢- تعتبر الكتابة في هذه الموضوع من الموضوعات الشيقة , حيث تمتزج الكتابة فيها بين الفلسفة وعلم الكلام.

٣- بيان الدور والفضل الذي يقوم به علماء الكلام في الرد على أصحاب الأفكار الخاطئة والمذاهب الضالة لإرشادهم إلى الطريق الصحيح لتتحقق الغاية المنشودة من هذا العلم .

الأسئلة التي أجاب عنها البحث :

حاول البحث الإجابة على عدد من التساؤلات والتي كان منها ما يلي :

١- هل كان للإمام الماتريدي دور في الرد على الشكاك ؟

٢- هل اتبع رواد المدرسة الماتريدية إمامهم في الرد على الشكاك ؟

٣- هل منهج المدرسة الماتريدية في الرد على الشكاك من الممكن الاستفادة منه في الرد على المذاهب والأفكار المشابهة التي ظهرت في هذه الأيام؟

الهدف من البحث

١- إبراز دور المدرسة الماتريدية في الرد على الشكاك.

٢- بيان أن الإمام الماتريدي من أوائل من قام بالرد على الشكاك .

٣- بيان أن المدرسة الماتريدية تسير على طريق واحد .

٤- الوقوف على الفرق بين الشك المنهجي والشك المطلق .

٥- الوقوف على أكبر ممثلي الشك المطلق وبيان كيفية الرد عليهم .

المنهج المتبع في البحث

اتبع في هذا البحث عدة مناهج اقتضتها طبيعة موضوعه منها المنهج الاستقرائي وذلك من خلال استقراء مذاهب الشكاك , ومن خلال استقراء موقف المدرسة الماتريدية من هؤلاء الشكاك , ومنها المنهج المقارن وذلك من خلال المقارنة بين الآراء والمناهج ليتم الوقوف على التأثير والتأثر , أيضًا اتبع المنهج التحليلي وذلك من خلال تحليل نصوص أصحاب مذهب الشك للوقوف على الغرض منها وإظهار ضعفها ,و تحليل نصوص رواد المدرسة الماتريدية الذين ردوا بها على هؤلاء الشكاك لبيان قوة حججهم وسطاعة براهينهم , وأخيرًا المنهج النقدي وكان ذلك من خلال نقد آراء أصحاب مذاهب الشك الهادم والرد عليها.

خطة البحث

اقتضت طبيعة موضوع البحث تقسيمه إلى مقدمة ذكر فيها أسباب اختيار الموضوع والهدف من البحث والمنهج المتبع فيه والأسئلة التي أجاب عنها , وتمهيد ذكر فيه التعريف بمصطلحات عنوان البحث و أربعة مباحث وكل مبحث احتوى على عدد من المطالب , خاتمة ذكر فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث , وثبت بالمصادر والمراجع , وفهرست الموضوعات , وجاءت المباحث على النحو التالي :

المبحث الأول بعنوان : الشك المنهجي

المبحث الثاني بعنوان : الشك المطلق , ويحتوي هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول بعنوان : المنكرون حقائق الأشياء(السفسطائية).

المطلب الثاني بعنوان : المنكرون العلم بحقائق الأشياء(اللاأدرية).

المبحث الثالث بعنوان : موقف المدرسة الماتريدية من الشكاك , ويحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول بعنوان : موقف المدرسة الماتريدية ممن ينكرون حقائق الأشياء.

المطلب الثاني بعنوان : موقف المدرسة الماتريدية ممن ينكرون العلم بحقائق الأشياء.

المبحث الرابع بعنوان : حقائق الأشياء ثابتة عند المدرسة الماتريدية .

التمهيد

أولًا : نبذة عن رواد المدرسة الماتريدية

اقتصرت هذه النبذة بالتعريف بأشهر أئمة المدرسة الماتريدية بوجه عام وعلى من ورد ذكرهم في البحث بوجه خاص , ولنبدأ بشيخهم وإمامهم وهو الإمام أبو منصور الماتريدي.

١- التعريف بالإمام الماتريدي

اسمه : هو محمد بن محمد بن محمود، إمام الهدى، أبو منصور، وينتهي نسبه إلى أبي أيّوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري إلى النّبي- صلّى الله عليه وسلّم -

مولده: اختلف في تاريخ مولده، ورجح أن يكون قد ولد عام ٢٤٨ هـ أو ما يقارب هذا، وقيل ولد عام ٢٣٨ هـ(١).

ألقابه: لقب الإمام الماتريدي بعدة ألقاب منها : إمام الهدى , و رئيس أهل السنة , و إمام المتكلمين , و مصحح عقائد المسلمين(٢).

شيوخه: تتلمذ الإمام الماتريدي على يد الكثير من العلماء , منهم : نصير بن يحيى البلخي(٣) , و محمد بن مقاتل الرازي(١), و أبو بكر أحمد بن اسحق

---

(١) راجع د. فتح الله خليف: "مقدمة كتاب التوحيد للإمام الماتريدي" , دار الجامعات المصرية , الإسكندرية , مصر, دون تاريخ , و وراجع بلقاسم الغالي: الإمام أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية ص٤٤ بتصرف , دار التركي للنشر عام ١٩٨٩م.

(٢) راجع د. مجدي بسلوم: مقدمة كتاب تأويلات أهل السنة للإمام الماتريدي, تحقيق : د. مجدي بسلوم , ص٧٣, دار الكتب العلمية , لبنان - بيروت , ط١ عام ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، وراجع ابن أبي الوفا (محي الدين محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفا القرشي الحنفي المتوفي سنة ٧٧٥هـ) : " الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية " , ج ٢ ص٥٦٢ , مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند، و ابن قطلوبغا (أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني المتوفي سنة ٨٧٩هـ " : " تاج التراجم" , حققه وقدم له محمد خير رمضان يوسف ص٢٤٩ , الطبعة الأولى عام ١٩٩٢ م- ١٤١٣هـ , دار القلم، و عمر رضا كحالة : "معجم المؤلفين" ج١١ ص ٣٠٠ بتصرف , مؤسسة الرسالة عام ١٩٩٩م- ١٤١٤ ه .

(٣) نصير بن يحيى البلخي أخذ الفقه عن أبي سليمان الجوزجاني المتوفي عام ٢٦٨ هـ , راجع : ابن أبي الوفا : الجواهر المضية في تراجم الحنفية ص ٢٢١، وراجع الزبيدي" السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى الزبيدي " المتوفي سنة ١٢٠٥هـ " : "اتحاف السادة المتقين" ج٢ ص٥، دار الفكر دون تاريخ , و الكوثري " محمد زاهد بن الحسن الكوثري المتوفي سنة ١٣٧١هـ " : العالم والمتعلم , ص٤، وعادل العوا: الكلام والفلسفة , ص٤٩ الطبعة الأولى - القاهرة , دون تاريخ ، وأبو زهرة (الشيخ محمد أحمد مصطفى الشهير بأبي زهرة المتوفي سنة ١٣٩٤هـ): تاريخ المذاهب الإسلامية , ج١, ص٢٠٧, دار الفكر العربي دون تاريخ ، و بلقاسم الغالي: الإمام الماتريدي وآراؤه العقدية ص٤٧ بتصرف.

الجوزجاني[٢], و أبو نصر أحمد بن العياضي[٣].

أقرانه: عاصر الإمام الماتريدي نخبة من أصحاب العلم والفضل منهم : محمد بن اليمان، وكنيته: أبو بكر الملقب بالسمرقندي, و محمد بن أسلم بن مسلمة بن عبد الله بن المغيرة بن عمرو بن عوف الأزدي, و علي بن سعيد أبو الحسن الرستغفني من كبار مشايخ سمرقند ومن أصحاب الماتريدي[٤].

تلاميذه: تتلمذ على يديه كثير من التلاميذ كان منهم: الإمام أبو اللّيث البخاري[٥] , و أبو القاسم السمرقندي[٦], و أبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي[٧]

أقوال العلماء فيه : كان للإمام الماتريدي مكانة كبيرة في قلوب العلماء وذلك لعلو قدرة وعظيم منزلته , فقد أثنى عليه كثير من العلماء , منهم الكفوي

---

(١) من أصحاب محمد بن الحسن وهو من الطبقة الرابعة التي تلقت آراء أبي حنيفة في العقائد , راجع عبد الحي اللكنوي:" أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي المتوفي عام ١٣٠٤هـــ" : الهندي الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، صححه وعلق عليه محمد بدر الدين أبو فراس النعاني, ص٢٠١– دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ، وراجع محمد المرتضى الزبيدي : " اتحاف السادة المتقين "ج٢ ص٥، وراجع أسماعيل البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين أثار المصطفين , ج, ٢ , ص ٧٣ طبعة دار إحياء التراث العربي دون تاريخ .

(٢) هو أحمد بن اسحق الجوزجاني , كان من الجامعين لعلم الأصول له كتاب : " الفرق والتميز " , وكتاب : "التوبة " و غيرها , راجع اللكنوي: "الفوائد البهية في تراجم الحنفية" –وراجع الجواهر المضيئة ص٧٧.

(٣) هو أحمد بن العباس بن الحسيني بن عياض أبو نصر العياضي من نسل سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي الفقيه السمرقندي راجع : " الفوائد البهية " ص ٢٣ , و قاسم بن قطلوبغا: " أبو العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني المتوفى عام ٨٧٩هـ " تاج التراجم في طبقات الحنفية , تحقيق : محمد خير رمضان يوسف, ص٥٩, دار القلم , ط ١ بيروت –لبنان عام ١٤١٣ه– ١٩٦٢م ، وراجع الزبيدي : اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين " , ج٢, ص٥ , ، وابن أبو الوفا (محي الدين القرشي): " الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية " , ج٢ , ص٥٦٢.

(٤) السمرقندي: "نسبة إلى سمرقند وهي مدينة من بلد ما وراء النهر ووصفها الرحالة بأنها مدينة جميلة وأنها من أجمل بلاد الله." , انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة "سمرقند" ج١٢ ص١٩٨، وانظر ابن خرداذاته " أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المتوفي عام ٣١١هـ ": " المسالك والممالك"– ص١٧٢– ليدن عام ١٨٨٩م ، و اصطخري "أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المتوفي عام ٣٦٤هـ ": المسالك والممالك – ص٢٨٨ – طبعة ليدن –عام ١٩٠٦م. بتصرف، و راجع د. مجدي بسلوم: " مقدمة كتاب تأويلات أهل السنة للإمام الماتريدي", ص٨٤ بتصرف , ومحمد بن اليمان إمام كبير له كتاب " معلم الدين " و "الرد على الكرامية " , توفي عام ٢٦٨, راجع الفوائد البهية ص ٢٠٢ بتصرف.

(٥) راجع د. فتح الله خليف: "مقدمة كتاب التوحيد للإمام الماتريدي" .

(٦) تتلمذ على يد الإمام الماتريدي وأخذ عنه الفقه و الكلام وأخذ التصوف عن مشايخ بلخ , راجع : الجواهر المضيئة "ج١ ص١٣٩، وعبد الحي اللكنوي: " الفوائد البهية " ص٤٤، وبلقاسم الغالي: "أبو منصور الماتريدي وآراؤه العقدية , ص١٣٦بتصرف.

(٧) راجع ابن أبو الوفا:" الجواهر المضيئة "ج٢ ص١٣٠، وعبد الحي اللكنوي ص١٠١.

؛ حيث قال :" هو إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين"[١].

مؤلفاته : صنف الإمام العديد من الكتب في العديد من المجالات , من أشهرها : كتاب "التوحيد" , وكتاب "تأويلات أهل السنة ", و كتاب "أوهام المعتزلة" , وكتاب" مآخذ الشرع " في الفقه , و" الجدل" في أصول الفقه [٢].

وفاته: "اتّفق المترجمون له على أنّه توفّي عام ٣٣٣هـ"[٣] .

٢- أبو الليث السمرقندي

اسمه : "نصر محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي"[٤].

مولده: لم يذكر تاريخ مولده.

شيوخه : "أخذ عن أبي جعفر الهنداوي عن أبي القاسم الصفار عن نصير بن يحى عن محمد بن سماعة عن أبي يوسف" [٥]

تلاميذه: لم تذكر كتب التراجم شيئًا عن تلاميذه.

أشهر مؤلفاته: "تفسير القرآن, و الفتاوى, و خزانة الفقه ,و بستان العارفين , و شرح الجامع الصغير, و تبيه الغافلين , و عمدة العقائد , و رسالة في أصول الدين"[٦].

وفاته : "اختلف العلماء في تاريخ وفاته , فذكر صاحب مدينة العلوم أن وفاته كانت في ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٣٩٣ هـ , وذكر صاحب الكشف وفاته سنة ٣٧٥هـ , وذكر صاحب الجامع أنها كانت سنة ٣٧٣هـ" [٧].

٣- البزدوي :

اسمه : "أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن المحدث عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوي" [٨].

---

(١) راجع د. مجدي بسلوم: مقدمة كتاب تأويلات أهل السنة للإمام الماتريدي ص٩٢ بتصرف.
(٢) راجع اللكنوي الهندي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية , ص١٩٥ بتصرف , و د. فتح الله خليف: مقدمة كتاب التوحيد للإمام الماتريدي بتصرف.
(٣) نفس المصدر ,الموضع نفسه.
(٤) اللكنوي :الفوائد البهية في تراجم الحنفية, ص ٢٢٠ .
(٥) المرجع السابق , نفس الموضع .
(٦) اللكنوي : الفوائد البهية في تراجم الحنفية, ص ٢٢٠.
(٧)المرجع السابق , الموضع نفسه .
(٨) إبن قطلوبغا : تاج التراجم في طبقات الحنفية , ص ٦٥-٦٦, و إسماعيل باشا البغدادي :هدية العارفين ,ج ٢, ص ٧٧.

لقبه : قال الذهبي : "يلقب بالقاضي الصدر"[١].

مولده : لم يذكر تاريخ مولده.

شيوخه: قال اللكنوي :" أخذ عن إسماعيل بن عبد الصادق عن جد أبو الليس محمد بن محمد بن الحسين ابن المحدث عبد الكريم عن أبي منصور الماتريدي" [٢].

تلاميذه : من أشهر تلاميذه : ابن علي البيكندي , وأحمد بن نصر البخاري , محمد بن أبي بكر السنجي , وأبو رجاء محمد بن محمد وآخرون.

ثقافته : قرأ كتب الفلاسفة أمثال الكندي , وكذلك كتب المعتزلة أمثال الجبائي والكعبي , والنظام , وغيرهم , كما اطلع على كتب الأشعري ,و تعمق فيها [٣].

مؤلفاته: قال عمر بن محمد في " القند " : ملأ الكون تصانيف في الأصول والفروع [٤] , وقال عنه صاحب هدية العارفين : صنف المبسوط في الفروع [٥].

أقوال العلماء فيه : قال عمر بن محمد في " القند " : كان أبو اليسر إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق , وقال الذهبي : هو العلامة شيخ الحنفية .

وفاته : توفي في بخارى في تسع من رجب سنة ثلاثمئة و تسعين [٦].

---

(١) الذهبي " شمس الدين محمد بن أحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي عام ٧٤٨هـ" : سير أعلام النبلاء , تحقيق : شعيب الأرنؤوط ,, ج ١٩ , ص ٤٩ , مؤسسة الرسالة .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء , ص ١٨٨.

(٣) البزدوي " أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن مجاهد البزدوي البزدوي المتوفي عام ٤٩٣هـ " : أصول الدين , تحقيق : د. هانز بيتر لنس , ضبطه وعلق عليه : د. أحمد حجازي السقا , ص ١٣-١٤ بتصرف, المكتبة الأزهرية عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

(٤) إبن قطلوبغا: تاج التراجم في طبقات الحنفية , ص ٦٥-٦٦.

(٥) إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ص ٧٧.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج١٩ , ص٤٩ بتصرف.

٤- أبو المعين النسفي[١]

اسمه : هو ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن محمد بن مكحول أبو المعين النسفي [٢].

مولده :لم يذكر تاريخ مولده إلا الزركلي , فقد ذكر أنه ولد عام ٤١٨هـ , ووجدت عبارة في تاج التراجم أنه توفي عام ٥٠٨ هـ وله سبعون عامًا وإن صح هذا التاريخ يكون مولده عام ٤٣٨هـ [٣].

شيوخه : تتلمذ النسفي على يد أسرته , فأبوه محمد بن محمد بن معتمد , وقد روى عنه النسفي كتاب العلم والمتعلم لأبي حنيفة يدل عليه هذا النص : " قال أبو الحسن علي بن خليل الدمشقي : أنبأنا أبو الحسن برهان الدين علي بن الحسن البلخي عن أبي المعين ميمون بن محمد النسفي عن أبيه عن عبد الكريم بن موسى البزدوي عن الإمام أبي حنيفة "[٤] , أيضا تتلمذ على يد جده أبو المعالي معتمد بن محمد الذي أخذ عن أبيه , إذًا فأسرته أسرة تحوي العديد من أشهر العلماء الذين أخذ عنهم [٥].

تلاميذه : روى عنه خلق كثير, منهم علاء الدين أبو بكر محمد السمرقندي [٦] , أيضًا تتلمذ عليه أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين البزدوي , وتتلمذ عليه أبو بكر مسعود بن أحمد الكاشاني , وأحمد بن محمد بن أحمد أبو الفتح الحلمي [٧] , و شيخ الإسلام محمود بن أحمد الشاغرجي و عبد الرشيد بن أبي أبي حنيفة الولوالجي[٨].

---

(١) نسف بفتح النون والسين : هي مدين كبيرة تقع بين نهر جيحون وسمرقند , خرج منها جماعة كثيرة من العلماء , وهي من بلاد ما وراء النهر , راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان , ج ٨ , ص ٢٨٦ بتصرف , مطبعة السعادة , ط ١ عام ١٩٠٦م

(٢) اللكنوي : الفوائد البهية في تراجم الحنفية , ص ٢١٦.

(٣) الزركلي : " خير الدين الزركلي المتوفي عام ١٩٧٦م " : الأعلام , ج ١ , ص ٣٠١ دار العلم , بيروت ط ٧ عام ١٩٨٦م , و ابن قطولبغا : تاج التراجم , ص ٧٨ .

(٤) مقدمة كتاب تبصرة الأدلة للإمام النسفي " أبو المعين ميمون النسفي المتوفي عام ٥٠٨هـ " , " , تحقيق وتعليق : د. محمد الأنور حامد عيسى , ص ١٢, المكتبة الأزهرية للتراث ,القاهرة , مصر , ط ١ عام ٢٠١١هـ , و الإمام أبو حنيفة : العلم والمتعلم , تحقيق : الكوثري , ص ٨ , ط الأنوار عام ١٣٦٨هـ.

(٥) مقدمة كتاب تبصرة الأدلة , ص بتصرف يسير١٣.

(٦) الجواهر المضية , ص٢١٦بتصرف يسير .

(٧) مقدمة كتاب تبصرة الأدلة , ص ١٥-١٦بتصرف يسير.

(٨) ابن قطولبغا: تاج التراجم , ص ٧٨بتصرف يسير.

مؤلفاته : قال ابن قطلوبغا : له كتاب التمهيد لقواعد التوحيد , وكتاب التبصرة في الكلام [١].

أقوال العلماء فيه: قال عمر بن محمد في كتاب القند كان عالم الشرق والغرب يغترف من بحاره , ويستضيء بأنواره[٢] .

وفاته:" توفي في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسمائة وله سبعون سنة" [٣].

٥- أبو إسحاق الوائلي الصفار

اسمه :" إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن إسحاق بن شيث بن الحكم أبو إسحاق" [٤].

مولده: لم يذكر شيء عن تاريخ مولده .

تلاميذه:" حدث عنه ابنه أبو المحامد حماد بن إبراهيم الصفار" [٥] , و" فخر الدين قاضيخان الحسن بن منصور بن محمود الأوزجندي" [٦].

شيوخه : "حدث عن أبيه , و أبي حفص عمر بن منصور بن حبيب الحافظ , وأبي محمد عبد الملك بن عبد الرحمن الأسبيري وطبقتهم "[٧].

مؤلفاته :"كتاب تلخيص الزاهدي , وكتاب السنة والجماعة "[٨].

أقوال العلماء فيه : قال عنه السمعاني: "معروف الزاهد الصفار, كان إمامًا زاهدًا ورعًا , مثل والده في اجتناب المداهنة وقمع السلاطين وقهر الملوك" [٩].

وفاته : "مات ببخارى في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ٥٣٤هـ"[١٠].

---

(١) المصدر السابق , الموضع نفسه بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق , نفس الموضع بتصرف يسير .
(٣) اللكنوي : الجواهر المضية ,ص ٧.
(٤) ابن قطولبغا: تاج التراجم , ص ٧٨.
(٥) ابن قطولبغا: تاج التراجم , ص ٧٨.
(٦) اللكنوي : الجواهر المضية ,ص ٧.
(٧) السمعاني ,الأنساب ,ج ٨ , ص ٣١٨ .
(٨) المرجع السابق , الموضع نفسه.
(٩)السمعاني ,الأنساب ,ج ٨ , ص ٣١٨ .
(١٠)المرجع السابق , الموضع نفسه.

٦-الغزنوي

اسمه : هو "أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي" [(١)].

مولده: لم يذكر تاريخ مولده .

لقبه : قال ابن العديم :" المعروف بالتاج الحنفي" [(٢)].

شيوخه : "تفقه على أحمد بن يوسف العلوي"[(٣)].

تلاميذه : "الفقيه الشريف عماد الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الحسني, وبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمود" [(٤)] .

مؤلفاته : "كتاب روضة المتكلمين في أصول الدين , و كتاب روضة العلماء في الفقه, ومقدمة في الفقه مختصرة "[(٥)].

وفاته : "توفي بحلب بعد عام ٥٩٣ هــ" [(٦)].

٧-أبو البركات النسفي

اسمه : عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفي [(٧)].

لقبه: أبو البركات .

مولده: "لم يذكر شيء عن مولده , وذكر في مقدمه كتابه شرح العمدة , أنه من الممكن تحديد تاريخ مولده بالتقريب بين عام ٦١٠ و ٦٢٠ هــ وذلك ؛ لأن الإمام أبو البركات النسفي تتلمذ على يد الإمام عبد الستار الكردي , والإمام الكردي توفى عام ٦٤٢هــ , ومن ثم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتتلمذ على يد شيخه قبل هذا السن "[(٨)] , وذكرأنه ولد في

---

(١)إبن قطلوبغا :تاج التراجم في طبقات الحنفية, ص ١٠ .

(٢) ابن العديم " الصاحب كمال عمر بن أحمد أبي جرادة" : بغية الطلب في تاريخ حلب , تحقيق : تحقيق : د. سهيل زكار ,ج ٣ , ص ١٠٢٩ , دار الفكر دون تاريخ .

(٣) المصدر السابق ,الموضع نفسه.

(٤) المصدر السابق , الموضع نفسه .

(٥) ابن العديم , بغية الطلب في تاريخ حلب , ج ٣ , ص ١٠٢٩, وابن قطلوبغا :تاج التراجم في في طبقات الحنفية, ص ١٠ .

(٦) ابن قطلوبغا :تاج التراجم في طبقات الحنفية, ص ١٠ .

(٧) اللكنوي : الفوائد البهية , ص ١٠٢ .

(٨) المراغي " عبد الله مصطفى المراغي " : الفتح المبين في طبقــات الأصــوليين , ص ١٠٨ , وابن حجر " أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين المتوفي سنة ٨٥٢هــ " : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة , ج ٢ , ص بتصرف٢٤٧, و محمد علي : ريحانة الأدب , ج ٤ , ص, و طاش كبرى زادة " أحمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبرى زادة والمتوفي عام ٩٦٨هــ" : طبقات الفقهاء , ص ١١٣ , و رضا كحالة " عمر رضا كحالة

بلدة تسمى " إيذج " , وهذا الاسم يطلق على مدينتين تحملان نفس الاسم : الأولى بين " خوستان" و " أصبهان " , تقع بين الجبال , وهي التي ولد فيها الإمام أبو البركات النسفي , والثانية , بلدة من الأهواز وبلاد الخرز , ومنها الإمام أبو محمد يحيى بن الحسن بن فورك "[١].

شيوخه: "تفقه على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردي وعلى حميد الدين الضرير , وبدر الدين خواهي زادة , وسمع الزيادات عن العتابي" [٢].

أقوال العلماء فيه : "قال عنه اللكنوي : كان إمامًا كاملًا عديم النظير في زمانه"[٣].

تلاميذه : قال اللكنوي :" سمع منه الصغافي . أقوال العلماء فيه : قال عنه اللكنوي : كان إمامًا كاملًا عديم النظير في زمانه" [٤].

أقوال العلماء فيه : "قال عنه اللكنوي : كان إمامًا كاملًا عديم النظير في زمانه" [٥].

مؤلفاته : من تصانيفه : "الوافي , وكنز الدقائق , والمصفى شرح المنظومة النسفية , و المستصفى شر الفقه , و المنار متن في الأصول وشرحه كشف الأسرار , والاعتماد , شرح العمدة , والمدارك في التفسير "[٦].

وفاته : "اختلف العلماء في وفاته , فقيل سنة ٧٠١ هـ , و قيل ٧١٠ هـ" [٧]

٨- الصابوني :

اسمه :"أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني" [٨].

لقبه : نور الدين الصابوني .

": معجم المؤلفين , ص ٣٢ ,المكتبة العربية , دمشق , سوريا عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م , و مقدمة كتاب شرح العمدة لأبي البركات النسفي , تحقيق : د. عبد الله محمد عبد الله إسماعيل ص ١١ , المكتبة الأزهرية للتراث , ط ١ عام ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م .

(١) حاجي خليفة " مصطفى بن عبد الله " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون , ج ٢ , ص ١٦٤٠ , والذهبي " محمد حسين الذهبي" : التفسير والمفسرون , ص ٣٤٠ , دار الحديث , القاهرة – مصر , و مقدمة كتاب شرح العمدة لأبي البركات النسفي " , تحقيق : د. عبد الله محمد عبد الله إسماعيل , ص ١٣.

(٢) ابن قطلوبغا : تاج التراجم , ص٣٠ , و اللكنوي : الفوائد البهية , ص ١٠٣.

(٣) المصدر السابق نفس الموضع .

(٤) ابن قطلوبغا : تاج الراجم , ص ٣٠, و اللكنوي : الفوائد البهية , ص ١٠٣.

(٥) المصدر السابق نفس الموضع .

(٦) اللكنوي : الفوائد البهية , ص١٠٣ .

(٧)اللكنوي : الفوائد البهية , ص١٠٣.

(٨) ابن قطلوبغا : تاج التراجم , ص ١٠.

مولده :لم يذكر شيء عن مولده في كتب التراجم .
شيوخه:" تفقه على شمس الأئمة الكردي [(١)].
تلاميذه : لم يذكر شيء عن تلاميذه.
مؤلفاته : "من تصانيفه :الكفاية في أصول الدين , وكتاب البداية في أصول الدين" [(٢)].
وفاته : "توفي في ليلة الثلاثاء السادس عشر من شهر صفر سنة ٥٨٠هـ" [(٣)], هذا كل ما ذكر عن الإمام الصابوني في كتب التراجم .

ثانياً : تعريف الشك

تعريف الشك في اللغة : نقيض اليقين , والشك خلاف اليقين , وجمعه شكوك , وقد شككت في كذا وتشككت , وشك في الأمر يشك شكًا [(٤)].
تعريف الشك في الاصطلاح :هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك , وقيل الشك ما استوى طرفاه , وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما [(٥)] , "وقد يكون الشك حالة مرضية نفسية , يتردد فيها الإنسان بين الإثبات والنفي فيصبح عاجزًا عن الحكم , ويطلق هذا المصطلح كذلك على من يتساءل عن العلية في الأمور التافهة , أو يتوجس خيفة من الأحداث والأمراض , والشك مذهب الارتيابية , الذين التزموا الشك مذهبًا لهم , والشك ال A htilogy Ahtilogie هو الوارد عند الشكاك تلاميذ

---

(١) المصدر السابق , نفس الموضع , و راجع مقدمة كتاب البداية في الكفاية في أصول الدين للصابوني : تحقيق : فتح الله خليف , ص ٨ , دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩م .
(٢) ابن قطلوبغا : تاج التراجم , ص ١٠.
(٣)المصدر السابق, الموضع نفسه.
(٤) ابن منظور" محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدينا بن منظور الأنصاري المتوفى عام عام ٧١١هـ" : لسان العرب , صححه : محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي , ج ٧ , ص ١٧٤بتصرف, ط ٣ دار إحياء التراث العربي , بيروت – لبنان عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م , و الجوهري " أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفي عام ٣٩٣هـ " : الصحاح , راجعه وصححه : د. محمد محمد تامر و أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد , ص ٦٠٩بتصرف , دار الحديث , القاهرة عام ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
(٥) الجرجاني " علي بن أحمد بن محمد بن علي , توفي عام ٨١٦" : التعريفات ,حققه وقدم له : إبراهيم الأبياري , ص ١٦٨ بتصرف يسير, دار الريان للتراث , دون تاريخ .

"بيرو" [١] الذي يستند إلى حجج تبرر تعليق الحكم بدعوى أن العقل يشك في قدرته اقتناص الحقيقة فلا يوجب ولا يسلب " [٢].

أنواع الشك

تنوع مفهوم الشك إلى ما يعرف بالشك المطلق أو الشك المذهبي و هو الذي عليه مدار البحث إن شاء الله – تعالى– , وإلى الشك المنهجي أو الشك العلمي وسيتم التعريف به وعرض نبذة مختصرة عنه, ليتم الوقوف على حقيقته , وبيان الفرق بينه وبين الشك المطلق.

أولًا : المقصود بالشك المنهجي أو الشك العلمي :

الشك المنهجي هو منهج يفرضه صاحبه بإرادته رغبة منه في امتحان معلوماته واختبار معرفته و تطهير عقله من كل ما يحويه من مغالطات وأضاليل , وهو يُمكن صاحبه من البدء بدراسة موضوعه وكأنه لا يعلم شيئًا , فلا يتأثر بالأخطاء المألوفة أو المغالطات التي يتلقاها من غيره, وهذا النوع من الشك هو خير طريقة لاتقاء الأخطاء والوصول إلى معرفة صادقة , وبهذا فهو وسيلة وليس غاية في ذاته , يزاوله صاحبه بإرادته ومحض رغبته , فهو يشك بنظام ومنهجية تمكنه للوصول إلى اليقين الذي يبتغيه , ومن ثم فصاحبه يبدأ شاكًا لينتهي إلى اليقين [٣], وقد بدأت بتعريف هذا النوع من الشك وهو على خلاف دأب الكتب وعادتها ؛ لأن هذا النوع من الشك أقدم من الشك المطلق أو الشك المذهبي , فقد ظهر بشكله وصورته عند الخليل إبراهيم – عليه السلام – حينما استخدمه لإقناع قومه بعبادة الله – تعالى– وحده لا شريك له فاطر السموات والأرض , وعبرت بأنه كان صورة الشك ؛ لأن الخليل – عليه السلام تظاهر بالشك ولم يشك حقيقة ,أما حقيقة هذا النوع

---

(١) فيلسوف فرنسي معاصر (١٩١٨– ١٩٨٩م) , شغل كرسي تاريخ الفلسفة الحديثة في السوربون , رفض التأويل الوجودي والسارتري لفلسفته, راجع : جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة , ص ٢٢١ بتصرف , ط ٣ , دار الطليعة , بيروت – لبنان دون تاريخ.

(٢) مراد وهبة : المعجم الفلسفي ص ٣٦٦–٣٦٧ بتصرف, دار قباء الحديثة , القاهرة عام ٢٠٠٧م.

(٣) توفيق الطويل : أسس الفلسفة , ص ٢٣٩ بتصرف , ط٣ , مكتبة النهضة المصرية ,دون تاريخ , و د. عبد الحمن الزبيدي : مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي , دراسة نقدية في ضوء الإسلام ,تقديم : الأستاذ عمر بن عبد الله الخطيب ص ٦٣بتصرف , مكتبة المؤيد , ط ١ عام ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

فصاحبه يشك بالفعل ويكون هذا الشك له منهجًا للوصول إلى غايته المنشودة وهي اليقين.

ثانيًا : المقصود بالشك المطلق أو الشك المذهبي :

يُصنف تحت هذا النوع من الشك عدد من المذاهب والفرق , أشهرها فرقتي السوفسطائية و اللاأدرية , وسيتم الحديث عنهما إن شاء الله – تعالى– بشيء من التفصيل في المبحث الثاني من هذا البحث.

المبحث الأول

الشك المنهجي " الشك العلمي "

الشك المنهجي عند فلاسفة اليونان

تم التنبيه على أن صورة هذا النوع من الشك وجد عند الخليل إبراهيم –عليه السلام – , أم وجوده على سبيل الحقيقة فقد استخدمه بعض المفكرين والعلماء, البعض منهم استخدمه للإثبات مذهب ما أو دفاع عن رأي معين واستخدمه البعض الآخر ليكون معينهم ووسيلتهم للوصول إلى اليقين ,ففي العصر القديم نجد سقراط الذي يُعد من أوائل من استخدم هذا النوع من الشك في الرد على السفسطائيين, وذلك لإثبات صحة مذهبه وبيان فساد ما ذهبوا إليه من إنكارهم لحقائق الأشياء , فمن المعروف أن سقراط انتهج منجهًا يحتوي على شقين , سلبي وهو ما يعرف بالتهكم وهو ما يؤدي إلى تخليص العقل من الأخطاء , وشق إيجابي وهو ما يعرف بالتوليد يهدف إلى الإرشاد إلى الحقيقة , ففي مرحلة التهكم يبدوا سقراط مع محدثيه وكأنه يتعلم منهم فيسلم بأقوالهم مصطنعًا الجهل , ثم يأخذ في الاستفسار والتساؤل وإثارة الشكوك في صحة ما يقولون , وبهذا ففي هذه المرحلة يعمل على تطهير العقل من الأخطاء وتحريره من الأوهام والشكوك , وبعد بلوغه لهذه المرحلة يبدأ في المرحلة الثانية وهي الشق الإيجابي من منهجه وهي مرحلة التوليد ؛ حيث يبدأ بطرح أسئلته الحقيقية التي تعين إلى الوصول لليقين , وبهذا نرى أنه استخدم هذا النوع من الشك بكامل إرادته كوسيله للوصول إلى ما يبتغيه رغبة منه للوصول إلى الحقيقة واليقين لإرشاد محدثيه إلى جانب الصواب وليتبين لهم الجانب المُخطأ الذين كانوا غارقون فيه (١), وهذا النوع من الشك نجده أيضًا عند أرسطو , وعمل على تأييده والتوصية به عند بدأ أي عمل بحثي و فرق بنيه وبين الشك المطلق , فنجده يقول في كتابه "ما بعد الطبيعة": " إن الذين يقومون ببحث علمي من غير أن يسبقوه بشك يزاولونه , يشبهون الذين يسيرون على غير هدي فلا يعرفون الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكوه " ,

---

(١) توفيق الطويل : أسس الفلسفة , ص ٢٤١ بتصرف , ط٣ , مكتبة النهضة المصـــرية , دون تاريخ , و د. عبد الحمن الزبيدي : مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي , دراسة نقدية في ضوء الإسلام ,تقديم : الأستاذ عمر بن عبد الله الخطيب ص ٦٢ , مكتبة المؤيـــد , ط ١ عام ١٤١٢هـــ – ١٩٩٢م .

ويقول أيضًا : " علاقة ضرورية تقوم بين الشك والمعرفة الصحيحة " , ويعلق الدكتور توفيق الطويل على كلام أرسطو بقوله : " رأى أن من يريد أن يكسب ملكة تحصيل المعرفة يجد في الشك الذي يقوم على التروي والتبصر تحقيقًا لغايته ؛ لأن المعرفة التي تعقب الشك تكون أدنى إلى الصواب " (١) .

الشك المنهجي في العصر الوسيط

أذا أردنا أن نعطي نموذج للشك المنهجي في العصر الوسيط , فإن القديس "أوغسطين" (٢) يعد خير مثال لذلك ؛ لأنه عنى بمشكلة المعرفة عناية خاصة ورأى أنه لكي يثبت الحقائق فعليه أن يثبت أولًا إمكانها ؛ لذلك كان أول كتاب ألفه كان بعنوان " ضد الأكاديميين " أي ضد الشكاك , قام فيه بالرد عليهم في إنكارهم للحقائق وشكهم في وسائلها , فبدأ بالشك وذكر أن الناس تختلف في عدة أشياء منها الحياة والعلم والتذكر , ومع ذلك فهم متفقون جميعًا في أنهم يشكون ,ولما كانت الحواس قد تخطأ ؛ لذلك فلا نصل بها إلى الحقائق بشكل مباشر , فالحس يقدم لنا صورة هذه الحقائق أما وجودها الحقيقي فداخل كل نفس (٣) ؛ لذلك وجه سهام النقض للشكاك الذين يشكون في أن تكون للأشياء حقائق , فنجده يقول :إن الذي يشك في وجود الحقيقة يعبر عن شكه بقضية تبدو له صادقة , ورأى أن هناك حقائق مستقلة عن كل ظرف , مطلقة من كل قيد لا يتطرق إليها الشك مهما تعسف فيه متعسف , منها القوانين المنطقية , ومنها الحقائق الرياضية , ومنها الحقائق الفلسفية والخلقية , أيضًا نجده يفحمهم

(١) المصدر السابق , الموضع نفسه بتصرف.

(٢) أوراليوس أوغسطنيوس , أشهر آباء الكنيسة اللاتينية , ولد في " طاجسطا بنوميدا" في عام ٣٥٤م , كان أبوه وثنيًا ويدعى " بارتريقيوس" , وأمه نصرانية وتدعى " مونيكا" , درس في مسقط رأسه , ثم انتقل إلى "مادورا" ؛ ليدرس الخطابة , أولع باللاتينية والأدب اللاتيني , ارتحل إلى "قرطاجة" حيث تردد على مدرسة البيان والبلاغة , ودرس الحكمة الوثنية , اطلع على الدين المسيحي وقرأ الكتاب المقدس , واطلع على المانوية وعمل على نشرها , وجمع حوله عدد من التلاميذ , كان منهم : " ليقنتيوس" , و "الوجيوس", ألف أول كتاب له في الجمال واللياقه ما بين عامي ٣٨٠ و٣٨١ م في مجلدين أو ثلاث ومن أشهر مؤلفاته : كتاب " الاعترافات " , وكتاب "الرد على المانويين" , و كتاب "المعلم" , و كتاب "الدين والحق", وكتاب "ردًا على فلاسفة الأكاديمية ", وتوفي في عام ٤٣٠ م , راجع : جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة , ص ١١٧ – ١١٨, بتصرف , وموسوعة العرب والأجانب , قدم له : الرئيس شارل الحلو , إعداد : الأستاذ روني ايلي الفا , راجعه : د. جورج نخل , ج ١, ص ١٥٥ بتصرف , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط ١ عام ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(٣) عبد الرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى , ص ٢٣– ٢٤ بتصرف, ط , مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٦٩م.

بذكر حقيقة تؤكد لهم وجود الحقائق تأكيدًا لا شك فيه ولا ارتياب بأي حال من الأحوال هي : حقيقة وجودنا وفكرنا و يبدأ في سؤالهم متهكمًا عددًا من الأسئلة ويجيب عليها ليصل بهم إلى اليقين فيقول : هل تعرف أنك موجود ؟ ويجيب : أعرف ذلك , ويسأل : من أين تعرف ؟ , ويجيب : لا أدري , ويسأل : هل تحس نفسك بسيطًا أم مركبًا ؟, ويجيب : لا أدري , ويسأل: هل تعلم أنك تتحرك ؟ , ويجيب : لا أعلم , ويسأل : هل تعلم أنك تفكر , يجيب : أعلم , وبهذا فرأى أن الذي يشك , مهما يكن موضوع شكه , لا يمكن أن يشك في تلك الأمور التي بدونها لا يمكن الشك , فالشك المطلق مستحيل فعلًا والحقيقة ماثلة في العقل بالضرورة [١] , ومن خلال الحقائق الموجودة في النفس أثبت وجود الله تعالى ؛ لأنه رأى أن الله – تعالى – هو مصدر هذه الحقائق , حيث تساءل من أين أتت هذه الحقائق الأبدية التي نجدها في نفوسنا ؟ ورأى أنه من المستحيل أن تكون النفس هي مصدر هذه الحقائق وذلك ؛ لأن النفس فانية والحقائق أزلية إذًا فكيف يوجد الفاني الأزلي ؟ ؛ ولأن المعلول لا يمكن أن يحتوي على أكثر من علته , ولا أن يساوي علته , ولما كانت النفس فانية , فلا يمكن أن تكون علة الحقائق الموجودة بها , ولابد أن يكون هناك مصدر آخر يضع هذه الحقائق في الذات , فرأى أنه يوجد نورًا أزليًا أفاض على النفس هذه الحقائق , , وهذا النور الأول هو الله [٢], وبهذا نرى أن "أوغسطين" جعل وجود هذه الحقائق دليل على وجود الله , ومن الملاحظ هنا تأثر "أوغسطين" بنظرية الفيض في الأفلاطونية المحدثة.

الشك المنهجي عند المتكلمين

وفي مطلع القرن الثالث الهجري نجد أبا هاشم وهو من أعلام المعتزلة جعل أول الواجبات الشك يقول الإمام الجويني : " وقال أبو هاشم :أول واجب على المكلف : الشك في الله إذ لابد على أصله من تقديم الشك على النظر" [٣] , و

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط , ص٢٢-٢٣بتصرف , مؤسسة هنداوي للنشر دون تاريخ .

(٢)عبد الرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى , ص ٢٥- ٢٦ بتصرف .

(٣) الإمام الجويني :" أبو المعالي عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف الجويني , المتوفي سنة ٤٧٨هـ" : الشامل في أصول الدين , حققه وقدم له : علي سامي النشار وفيصل بدير عون و سهير محمد مختار , ص ١٢١ بتصرف , منشأة المعارف بالإسكندرية عام ١٩٩٦م .

لم يرتضي الإمام الجويني هذه العبارة منه وعلق على عبارته هذه قائلًا: " وهذا خروج منه عن قول الأمة , وتوصل منه إلى هدم أصله , وذلك ؛ لأن كل واجب مأمور به وتقدير الأمر بالشك متناقض إذ لا يثبت الأمر إلا مع العلم بالأمر واعتقاد ثبوته والعلم به مع التشكيك فيه متناقضان " (١) , فأبا هاشم وان أراد جعل الشك أول الواجبات ليتوصل به إلى اليقين إلا أنه كان متجاوزا في العبارة واستحق تعليق الإمام الجويني عليه , ونفس هذا الرد ذكره الإمام الآمدي (٢) , والنظر عند الإمام الآمدي يبدأ بالشك الذي ينتهي به إلى اليقين , يقول الدكتور حسن الشافعي في حديثه عن تقسيم العلم عند الإمام الآمدي : " ينتهي منها إلى تقسيم العلم إلى أولي – أي بديهي – وإلى نظري – أي كسبي – والأخير يعتمد على الأول , وطريق تحصيله منه , هو النظر العقلي الذي يبدأ بالشك لينتهي إلى اليقين " (٣) ,ونسب الإمام سعد الدين التفتازاني لبعض العلماء جعل أول الواجبات الشك ؛ حيث قال أثناء حديثه عن أول الواجبات:" وقيل : الشك ؛ لأن النظر بعده " (٤) , وقد نسب محقق الكتاب هذا الرأي للإمام الأشعري حيث قال في هامش الكتاب : " هذا الرأي يقول به الشيخ أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه , ويوافقه على ذلك جماعة من العلماء , وإنما كانت أول واجب عنده ؛ لأن مبني جميع الواجبات عليه "(٥) (٦) , ومن رواد هذا النوع من الشك الإمام الغزالي , يتبين ذلك من خلال حديثه في كتابه المنقذ من الضلال , فقد ذكر أنه وضع كل شيء موضع الشك , ولهذا شمل الشك عنده الجانب الديني – بعض المعلومات التي تلقاها من والديه – والجانب العلمي , وليس معنى هذا أن الإمام الغزال شك في

---

(١) المصدر السابق , الموضع نفسه .
(٢) الآمدي " الإمام سيف الدين الآمدي المتوفى عام ٦٣١هـ" : أبكار الأفكار في أصول الدين, تحقيق : د. أحمد محمد المهدي ,ج١ , ص ١٧٠ , ط دار الكتب والوثائق القومية , مركز تحقيق التراث عام ٢٠٠٢م.
(٣) د.حسن الشافعي : الآمدي وآراؤه الكلامية , ص ١٠٩ , دار السلام للطباعة والنشر , ط ١ عام ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
(٤) الإمام سعد الدين التفتازاني " مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني المتوفي عام ٧٩٣هـ " : شرح المقاصد , تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة , تصدير الشيخ صالح موسى شرف ج ,١ ص ٢٧١ , عالم الكتب , ط ٢عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
(٥) المصدر السابق , الموضع نفسه .
(٦) وللأمانة العلمية فإني قد بحثت في كتب الأمام الأشعري فلم أجد ما ذكره محقق الكتاب .

أصول العقائد وإنما كان شكه في بعض المعلومات التي تلقاها من أبويه , فرفض أن يكون مقلدًا , وأراد أن يضع منهجًا يسعى لتأكيد الوقوف على الحقائق من خلاله , ولهذا تحدث الأمام عن إقراره لهذا المنهج وهو الشك المنهجي أو الشك العلمي , ثم بعد ذلك فرع حديثه ليشمل الشك في بعض المعلومات الدينية التي تلقاها من والديه وهو ما يعرف بالتقليد , أراد به إعلام الخلق أن ليس كل ما يقلد صحيح , وإلى الشك في العلوم التي تلقاها من أساتذته , حيث رأى أنه لابد من أن يقف على حقائق هذه العلوم بنفسه , فعن إقراره لمنهج الشك العلمي بوجه عام نجده يقول: "ولقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري , غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي , لا باختياري وحيلتي" [١] , ثم نجده يفصل حديثه عن الشك ونجد أنه فرعه بين الشك فيما وصلنا من الآباء من الاعتقاد , والشك في أسباب العلوم ,فعن الفرع الأول نجده يقول : " حتى انحلت على رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة ,على قرب عهد من الصبا , إذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصير , وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود , وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام , وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٢], فتحرك باطني إلى طلب الفطرة الأصيلة , وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين ... والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منه من الباطل " [٣] , من النص السابق فمن الممكن تلمس أن الإمام الغزالي لم يشك لحظه في أصول العقائد وذلك من خلال إقراره لحديث النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – فجعل مبدأ الفطرة التي وردت في

---

(١) الإمام الغزالي :" حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الشافعي الأشعري المتوفي عام ٥٠٥ هـ" : المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال , تحقيق : أ.د محمد محمد أبو ليلة و أ.د نورشيف عبد الرحيم رفعت , ص ١٦١ , ط : جمعية البحث في القيم الفلسفية, دون تاريخ.

(٢) الترمذي " أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفي عام ٢٧٩هـ" : سنن الترمذي (الجامع الصحيح), تحقيق وتخريج وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي , كتاب القدر, باب : ما جاء كل مولود يولد على الفطرة , رقم ٢١٣٨ , ج ٣ , ص ٤٤٧ , ط ٢ مصطفى البابي الحلبي عام ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

(٣) الإمام الغزالي : المنقذ من الضلال , ص ١٦١ .

الحديث هي الركيزة التي يرتكز عليها وبدأ بالبحث عنها في أغوار نفسه إلى أن وجدها , ومن الملاحظ أيضًا أن الإمام الغزالي كان دقيقًا في تعبيره فذكر أنه لم يشك في كل ما وصله من معلومات تتعلق بالإيمان من والديه نلاحظ ذلك من خلال قوله : " والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منه من الباطل " , أراد بذلك أن يستثنى من شكه , إيمانه بالله تعالى وأنه الإله الحق المتصف بكل كمال , وبعد حديثه عن شكه فيما تلقاه من الآباء وأن ليس كل ما يتلقاه المرء يكون صحيحًا , تحدث عن شكه عن ما تلقاه من العلوم حيث نجده يقول : " ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلًا من علم موصوف بهذه الصفة " [١] وبعد حديث طويل دار بينه وبين نفسه متبعًا فيه طريقة الخليل سيدنا إبراهيم –عليه السلام – فقد تساءل على سبيل الافتراض هل في الحس يثق ؟ , فتبين له أن الحس لا أمان به ؛ لأنه كثير ما ننخدع في أحكامه , ثم يلجأ إلى العقل ويفترض الوثوق به , ثم يتبين له أنه في بعض الأحوال لا تكون أحكامه صحيحة وظل على هذا الحال فترة من الزمن إلى أن أراد الله شفاء نفسه العليلة ,هذا ولابد من التنبيه أولًا : أن الخليل إبراهيم – عليه السلام لم يشك وإنما تظاهر بالشك بخلاف الإمام الغزالي فشكه في بعض المعلومات التي تلقاها من والديه كان شكًا حقيقيًا أراد التيقن من هذه المعلومات بنفسه . ثانيًا : التنبيه على أن حالة الشك هذه – الفرع الثاني من الشك عند الإمام الغزالي وهو الشك في العلوم والمعارف – هي حالة من الشك المطلق للإمام الغزالي بخلاف الحالة الأولى – الفرع الأول عند الإمام الغزالي وهو الشك في بعض المعلومات التي تلقاها من والديه – التي تعد شكًا منهجيًا ؛ لأنه ارتكز فيها على حقائق ثابته , ايمانه بالله تعالى وبأنبيائه – عليهم السلام – , واقراره للحديث الشريف وإقراره بالفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها , أما الحالة الثانية هي حالة من الشك المطلق يلتمس من قوال الغزالي حيث وصف نفسه بالسفسطة وأن خروجه من هذه الحالة كان عن طريق كشف ونور قذف الله – تعالى – به في قلبه ؛ لأنه في حالة الشك هذه لا يستطيع أن يعتمد على دليل يصل به إلى اليقين وذلك ؛ لأن الدليل هذا يبنى على مقدمات بديهية وهو في هذه الحالة منكرًا لها , يقول الإمام

(١) المصدر السابق , الموضع نفسه .

الغزالي : " فلما خطرت لي هذه الخواطر وانقدحت في النفس , حاولت لذلك علاجًا فلم يتيسر, إذ لم يمكن دفعه إلا بدليل , ولم يمكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية , فإذا لم تكن مسلمة لم يمكن ترتيب الدليل , فأعضل الداء , ودام قريبًا من شهرين أنا فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال , لا بحكم النطق والمقال , حتى شفى الله تعالى ذلك المرض والاعتلال , عادت النفس إلى الصحة والاعتدال , ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقًا بها على أمن ويقين , ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام , بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر " (١) , فقد شبه الغزالي حاله في حالة الشك الذي كان فيها أشبه بالسفسطة وذلك لشكه في وسائل المعرفة ولكنه لم يكن مثلهم حقيقة ؛ لذلك عبر عن كونه على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال, وذلك ؛ لأنهم أنكروا كل الحقائق أما هو فلا فلم ينكر كل الحقائق وإنما شك في ما تلقاه من معلومات وشك في وسائل المعرفة التي نصل بها إلى هذه المعلومات ويستثنى من ذلك الإيمان بوجود الله ؛ لأنه علم أنه فطري , فعقيدة وجود الله تعالي والإيمان به كانت راسخة في قلبه وقد مر بيان ذلك.

الشك المنهجي عند فلاسفة العصر الحديث

وفي العصر الحديث نجد أشهر من عُرف بهذا النوع من الشك " ديكارت " (٢) وله مقوله توضح منهجه هذا وتذكرنا بما ذكره الإمام الغزالي في حديثه عن ما عرض له من الشك , حيث قال : " لاحظت – وليست ملاحظتي هذه بنت اليوم – إنني تلقيت منذ سنواتي الأولى طائفة من الآراء الباطلة على أنها صحيحة ومن أجل ذلك حكمت بأنه يجب علي أن أقدم بحد مرة واحدة في

---

(١) الإمام الغزالي : المنقذ من الضلال , ص ١٦٨ و ١٦٩.

(٢) واحد من أعظم الفلاسفة الرياضيين , ولد في "لاهاي عام ١٥٦٩م ووالده :" يواكيم ديكارت " ينتمي إلى نبالة أهل القضاء , توفيت والدته وهو صغير وربته جدته , ثم زوجة أبيه , تزوجها بعد وفاة أمه , وفي عام ١٦٠٤م أرسله والده إلى معهد " لا فليش" الذي تحول إلى مدرسة مشهورة يتولى إدارتها مجموعة من الآباء اليوسوعيين , وتلقن في المدرسة : مبادئ الإيمان و تعلم فيها اللاتينية , والتاريخ والبلاغة والفلسفة الأخلاقية والمنطقية ورياضيات " كلافيوس" وطبيعيات أرسطو والميتافيزيقا , كتب رسالة لصديق له في الموسيقى ,بعنوان " الوجيز في الموسيقى " ومال إلى العزلة عن الناس ليتفرغ للبحث والدراسة , وبالفعل اعتزلهم , والف رسالة بعنوان : قواعد تدبير العقل , و رسالة في الميتافيزيقا , وكتاب العالم , والف ثلاث رسائل علمية في انكسار الضوء والهندسة والآثار العلوية , وتوفي في عام ١٩٥٠م , راجع : جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة , ص ٢٩٨- ٣٠٣ بتصرف , ط ٣ , دار الطليعة , بيروت – لبنان عام ٢٠٠٦.

العمر , على تخليص نفسي من الآراء التي تلقيتها في الماضي , وأن أعاود البحث من أساسه إذا أردت إقامة شيء ثابت وراسخ في العلوم " [١] , ومما يؤكد شكه المنهجي الذي يبتغي به الوصول إلى الحقائق واليقين , وأنه ما هو إلا وسيلة لغاية يسعى لها قوله : " لقد كانت غايتي أن أثق بصحة ما أعلم , أن أبني علومي على الصخر والصلصال لا على المتحرك من الرمال "[٢].

ولما كان موضوع البحث يدور حول النوع الأول من الشك وهو الشك المطلق فسيتم الحديث عنه بنوع من الاستفاضة لنقف على منهج القائلين به , ولنقف على الدور الذي قام به أعلام المدرسة الماتريدية في الرد عليهم .

---

(١) ديكارت : مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم ,ترجمه إلى العربية وقدم له وعلق عليه : جميل صليبا ص ٣٥, المكتبة الشرقية , ط ٣ عام ٢٠١٦م.

(٢) ديكارت : مقالة الطريقة, ص ٣٦.

المبحث الثاني
الشك المطلق (الشك المذهبي)

إذا نظرنا لأصحاب هذا النوع من الشك نجد أنهم انقسموا في شكهم هذا بين من أنكر وجود حقائق فلا توجد أي حقيقة من وجهة نظرهم , وذلك ؛ لأنهم يشكون في الوسائل التي تؤدي إليها , أو تردد في الحكم عليها واكتفى بقوله لا أعلمٍ أو لا أدري , وبهذا فهذا النوع من الشك " يبدأ صاحبه شاكًا وينتهي شاكًا , فهو حالة ريب مستمر بدون إرادة من صاحبه ويكون غاية لا وسيلة إلى غاية أخرى يسعى إلى تحقيقها "[(١)] , وفيما يلي يتم إلقاء الضوء عن كل فريق لنقف على إلى أي مدى كان مفهوم الشك عنده , ولهذا احتوى هذا المبحث على مطلبين .

المطلب الأول
المنكرون حقائق الأشياء" السفسطائية "

التعريف بالسفسطائية

السفسطة واحدة السفسطات , وهي خطأ مقصود للتمويه على الخصم , هي لفظ يوناني معرب , وهي نوع من الاستدلال يقوم على الخداع والمغالطة [(٢)] , و اسم "سوفيست" يطلق عند اليونان ويدل بوجه عام على المَعلم في أي فرع من فروع العلوم والصناعات , ويطلق بوجه خاص على مُعلم البيان , وفي عهد سقراط وأفلاطون تغيرت النظرة إلى السفسطائيين ولحق هذا المسمى التحقير, وأصبح يدل على الخسة والدناءة , وذلك ؛ لأن السفسطائيين كانوا مجادلين , مغالطين متجرين بالعلم , يفخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه [(٣)] , وعرفهم ابن حزم بقوله : " ذكر من سلف من المتكلمين أنهم ثلاثة أصناف؛ فصنف منهم نفى الحقائق جملة , وصنف منهم شكوا فيها , وصنف منهم قالوا : هي حق عند من هي عنده حق , وهي باطل عند من هي عنده باطل "

---

(١) توفيق الطويل : أسس الفلسفة , ص ٢٣٨ بتصرف.
(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي , ص ٩٧ , الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
(٣) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية , ص ٦١ بتصرف .

[١] , وعدهم البغدادي ثلاثة فرق حيث قال : " فرقة زعمت أنه لا حقيقة لشيء ولا علم بشيء وهم معاندون ... , والفرقة الثانية منهم أهل الشك قالوا لا نعلم هل للأشياء والعلوم حقايق أم لا حقايق .... , والفرقة الثالثة منهم قالوا للأشياء حقايق تابعة للاعتقادات وزعموا أن كل من اعتقد شيئًا فمعتقده على ما اعتقده وزعموا أن الاعتقادات كلها صحيحة "[٢].

الظروف التي ساعدت على ظهور السفسطائية

لما كان لفظ السفسطة يدل على التمويه والمغالطة , لهذا كان ظهوره نتيجة لمجموعة من الظروف و الأسباب التي أدت إلى ظهوره , فقد اشتهر هذا النوع من الفكر عند اليونان , فقد ظهر جماعة من المفكرين في بلاد اليونان , وقد كان اتجاه الفكر قبل ظهورهم نحو العالم الخارجي إلا أن هذا لم يستمر طويلًا, فبعد استقلال اليونان[٣] , الذي كانت أرضه وعرة المسالك تنحصر بين جبالها مجموعة من الأودية , نشأت في أكنافها مدن متفرقة لا يتصل بعضها ببعض في سهولة ويُسر ؛ لذلك لم تكن اليونان أمة واحدة تُشرف على مُدنها حكومة واحدة بل كانت كل مدينة مستقلة بنفسها لها قوانينها التي وضعتها للحكم , وأدى استقلال المدن هذا إلى تنافر أهلها وتناكرهم , فتولد بينهم شعور المنافسة وبات الفرد يرى أن مصلحة مدينته فوق مصلحة الدولة وشاعت العصبية للمدن , وليس هذا فحسب , فتولد عن هذه العصبية أنانية , فأصبح الفرد يرى مصلحته أولًا قبل مصلحة مدينته وطغا حَب النفس , وطغت على اليونان موجة من الشك , وعمد الناس إلى القديم يهدمونه , فاندكت الارستقراطية وقام على أنقاضها الديمقراطية , ومحا العلم والفلسفة عقائد الدين , فانحلت الأخلاق والعادات , وذهبت هيبة السلطان واحترام التقاليد , وأخذ الناس يسخرون من عقائد الأسلاف واتخذوها مسارًا للسخرية , وحطمت القوانين الأخلاقية التي بدت لهم أغلالًا تلجمهم وتحول

---

(١) ابن حزم " الإمام أبو محمد علي بن أحمد " : الفصل في الملل والأهواء والنحل , تحقيق : د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة , ج ١ , ص ٤٣ , دار الجيل , بيروت – لبنان , دون تاريخ .

(٢) البغدادي " أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي المتوفى عام ٤٢٩هـ" : أصول الدين ج ١ , ص ٦و ٧ , ط ١ , مدرسة الإلهيات بدار الفتوى , استانبول – تركيا عام ١٣٤٦هـ – ١٩٢٨م .

(٣) المصدر السابق , الموضع نفسه .

بينهم وبين غرائزهم [١] ، وفي هذه الظروف القاسية ظهرت جماعة السوفسطائية ولم تكن مدرسة فلسفية كغيرها من المدارس التي عُرفت في ذلك الحين والذي قبل , تقوم على منهج علمي له اتجاهاته وآرائه الخاصة ,وإنما كانوا طائفة من المثقفين تفرقوا في بلاد اليونان واتخذوا التدريس مهنة لهم , يلقون المحاضرات ويأخذون عليها أجر مستغلين بذلك تعاظم التنافس بين الأفراد , وازدياد أسباب النزاع أمام المحاكم الشعبية , وشيوع الجدل القضائي والسياسي , فنشأت الحاجة إلى تعلم الخطابة وأساليب المحاجة واستمالة الجمهور وإقناعه , وفي هذه الحالة وجد هؤلاء المجال واسعًا أمامهم لاستغلال مواهبهم فشرعوا في تعليم الناس البيان وأساليب الجدل وطرق المحاجة [٢], هذا ولم تقتصر السفسطة على بلاد اليونان , بل وجدت في الفلسفات الشرقية , فقد ذكر الدكتور محمد غلاب أنه وجدت في الفلسفتين الصينية و الهندية في ظروف مشابهة للظروف التي أدت إلى ظهور سفسطائية اليونان , من ضعف الروح الدينية في نفوس الشعب وتدهور الأخلاق وغيرها , وتشابهت صفات وأساليب سفسطائية الشرق مع صفات وأساليب سفسطائية اليونان , ففي الفلسفة الصينية في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد اشتهر جماعة من المفكرين بالفصاحة والبلاغة وغزارة العلم وسعة الاطلاع , أطلق عليهم معاصروهم اسم : " مينج – كيا" , أي الجدليين , الذين دعوا بعد ذلك بالسفسطائيين , وذكر دكتور محمد غلاب أن الأستاذ "زانكير" [٣] رأى أن تسميتهم بالسفسطائيين تُعد تسمية دقيقة ؛ لأن هذه الجماعة من المفكرين كانت تشبه سفسطائية الإغريق في إنكار الحقيقة المطلقة , والشك في الكليات العامة , والإيمان بأنه لا توجد إلا حقائق نسبية أو اعتبارية , وبأن الإنسان وحده هو مقياس هذه الحقائق على نحو ما أعلن سفسطائية الإغريق تمامًا [٤] ,

---

(١) زكي نجيب محمود و أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية , ص ٦٥ بتصرف , ط هنداوي , دون تاريخ .

(٢) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية , ص ٦١ بتصرف , وزكي نجيب محمود و أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية , ص ٦٥ بتصرف, هنداوي عام ٢٠١٧م.

(٣) كاتب فرنسي , من مؤلفاته كتاب "تاريخ فلسفة الصينين" , راجع فهرس المراجع لكتاب الفلسفة الشرقية لدكتور محمد غلاب , ص ٣٤٧ , مطبعة البيت الأخضر , القاهرة , مصر عام ١٩٣٨م.

(٤) د. محمد غلاب : الفلسفة الشرقية , ص ١١٢ –١١٣ , و ٢٨٨ بتصرف .

وفي الفلسفة الهندية نجد الخروج عن الدين والاتجار بالعلوم والمعارف وبيعها كما تباع السلع , فقد أنكروا سلطان الفيدا[١] تمام الإنكار وزعموا أنهم هم وحدهم ذوو المعرفة الصحيحة , فقد تميزوا بالمقدرة على الجدل فكانوا يستطيعون البرهنة على خيرية الشيء الواحد وشريته وحُسنه وقُبحه في آن واحد [٢].

أعلام السفسطائية

١-بروتاغراس

سفسطائي يوناني عاش ما بين " ٤٨٥- ٤١١ ق . م " , كان صاحب مذهب حسي ونسبي , عارض فكرة الحقيقة المطلقة [٣] , طاف هذا الفيلسوف أنحاء اليونان يلقي فيها الخطب البليغة , ويعلم الناس قواعد النجاح في السياسة , وتنسب له عبارة شهيرة وجدت في كتاب له أسماه " الحقيقة " , كانت المحور الذي دارت عليه فلسفته هي : " الإنسان مقياس الأشياء جميعًا , هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لاوجود ما لا يوجد " وهو بهذا يرى أنه ليس هُناك وجود خارجي مستقل عما في أذهاننا , فما يظهر للشخص أنه الحقيقة يكون هو الحقيقة له , فإذا اختلف في رؤية شيء فما أراه أنا حق بالنسبة لي وما تراه حق بالنسبة لك , ورأى أنه ليس هُناك خطأ , فكل ما تراه صواب لك و لا يوجد شيء يسمى حقًا في ذاته [٤] , وقد يكون " بروتاجوراس برأيه هذا متأثرًا بقول " "هرقليطس" [٥]" الذي كان يقول بالتغير الدائم , وكان يشك في المعرفة بوصفها معرفة كلية ثابتة موضوعية غير متأثرة بالأفراد , ومن هُنا كان

---

(١) الفيدا أو الفيدانتا : "أحد المذاهب الكبرى في الفلسفة الهندية , ويرجع إلى القرن الثالث الميلادي ولا يزال ذا شأن حتى اليوم" , راجع : مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي , تصدير : د. يوسف كرم , ص ١٤٢, الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة – مصر عام ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٢) د. محمد غلاب : الفلسفة الشرقية , ص ١١٢ -١١٣ بتصرف .

(٣) جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة , ص ١٧٠ بتصرف .

(٤) زكي نجيب محمود و أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية , ص ٦٧ بتصرف , و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية , ص ٦٢ و ٦٣ بتصرف .

(٥) فيسوف يوناني عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن الخامس ق.م , قام بتأليف أول كتاب عقلاني في الكون وهو كتاب : " الطبيعة ", راجع : جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة , ص ٦٩٧- ٦٩٨ بتصرف .

من الممكن أن تختلف الأشياء باختلاف الناظر إليها " [١], أيضًا أطلق على مذهب " برتوغوراس" مذهب "العندية " [٢] ؛ لأنه رأى أن كل حق عنده بالقياس لغيره , ولعل هذا ما جعل الباحثين والعلماء ذكر العندية من أصناف السفسطائية , كما نسبت له عبارة أخرى في نفس الكتاب كانت سببًا في اتهامه بالإلحاد وطرده خارج البلاد هي : " لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودة أم غير موجودة فإن أمورًا كثيرة تحول بيني وبين هذا لعلم أخصها غموض المسألة وقصر الحياة" [٣] , ويبدوا أن هذه العبارة هي الشرارة الأولى التي انطلقت منها اللا أدرية .

٢-غورجياس

من أكبر السفسطائيين وأشهرهم , من مدينة ليونيتي Leontini بجزيرة "صقلية "[٤]على مقربة من "سراقوسة "[٥] , اختلف في سنة ميلاده , فذكر البعض أنه ولد في عام ٥٠٠ ق.م , والبعض رأى أنه ولد في عام ٤٨٥ ق.م , والبعض الآخر رأى أنه ولد عام ٤٦٠ ق. م وفد إلى أثينا عام ٤٢٧ ق.م , وعندما قدم المدينة ارتقى المنبر وألقى خطابًا بارعًا باسم

(١) عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني , ص ١٧٢, ط ٣ , مكتبة النهضة المصرية, ط ٣ دون تاريخ.

(٢) العندية : تعني استحالة اقتناص الحقيقة المطلقة , وهي مذهب فلسفي يرى أن المعرفة نسبة بين العارف والمعروف و أنها من عند العارف المنفعل بالمعروف , وهي نظرية تقرر أن كل من الحق والباطل ليس له قيمة موضوعية وأن اليقين حالة تخص الفرد وحده , وعرفهم الأمام الرازي بقوله : " العندية هم الذين يقولون : مذهب كل قوم حق بالقياس إليهم وباطل بالقياس إلى خصومهم " راجع : الإمام فخر الدين الرازي (محمد بن عمر بن الحسين ن الحسن بن علي المتوفي سنة ٦٠٦هـ) : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والمتكلمين , ص ٢٣ ,المطبعة الحسيينية المصرية ط ١ , دون تاريخ , و راجع : مراد وهبة :المعجم الفلسفي , ص ٤٤٠ بتصرف ,دار قباء الحديثة , القاهرة , مصر عام ٢٠٠٧م , وراجع : القاضي عبد الجبار " أبو الحسن عبد الجبار الأسدآبادي المتوفي سنة ٤١٥ هـ " فيما ذكره عن الجاحظ : المغني في أبواب التوحيد والعدل ,تحقيق : د. إبراهيم مدكور , و د. طه حسين , ج ١٢ , ص ٤٧-٥٣ , دون ذكر دار النشر.

(٣) زكي نجيب محمود و أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية , ص ٦٧ بتصرف , و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦٢ و ٦٣ بتصرف , ط هنداوي.

(٤) بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضًا متشددة , من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية, راجع ياقوت الحموي " الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفي عام ٦٢٢هـ " : معجم البلدان , ج ٣ , ص ٤١٦ , دار صادر , بيروت دون تاريخ.

(٥) بفتح الواو وثانيه , وبعد الواو سين أخرى : هي أكبر مدينة بجزيرة صقلية , راجع ياقوت الحموي : معجم البلدان , ج ٣ , ص ٢١٤.

المدينة والمدن الأخرى أمام مجلس أثينا , فنال إعجاب أعضاء المجلس ولم يطل المقام بها ؛ لأنه كان يؤثر الطواف بالمدن حرًا , يقال أنه أخذ العلم عن "أنبادقليس"(١) , ومن تلاميذه "أرستيبوس "(٢) , ويُعد " سقراط" من أشهر تلاميذه على ما ذُكر , من أشهر مصنفاته : كتاب بعنوان : " في الوجود " أو " في الطبيعة " , وله رسالة في فن الخطابة (٣), اشتغل بالطبيعيات وكان يًعلم الناس البلاغة والسياسة , ووصف بأنه أفصح أهل زمانه وأبلغهم , وضع كتابًا بعنوان " الطبيعة أو اللاوجود" دار حول قضايا ثلاث , الأولى هي : " لا شيء موجود , الثانية: " إن وجد شيء فلا يمكن أن يُعرف " الثالثة : " وإن أمكن أن يُعرف فلا يمكن إيصاله إلى الغير " , وهو في رأيه هذا متأثرًا بالمدرسة الإيلية في إنكار المعرفة التي تأتي عن طريق الحواس(٤) , وقد قام الأستاذ يوسف كرم بشرح هذه القضايا الثلاث بقوله : " أما عن الأولى فيقول : اللاوجود غير موجود من حيث أنه لا وجود , والوجود غير موجود كذلك ؛ فأما هذا الوجود إما أن يكون قديمًا أو حادثًا , فإن كان قديمًا فهذا يعني أنه ليس له مبدأ وأنه لا متناه ولكنه محوي بالضرورة في مكان , فيلزم أن مكانه مغايرًا له وأعظم منه وهذا يناقض كونه لا متناهيًا وإذن فليس الوجود قديمً , أما إن كان حادثًا فإما أن يكون حدث بفعل شيء موجود أو بفعل شيء غير موجود , ففي الفرض الأول يصح أن يقال : إنه حدث ؛ لأنه كان موجودًا في الشيء الذي أحدثه فهو إذن قديم , وفي الفرض الثاني الامتناع واضح . وأما عن القضية الثانية فإنه يقول : لكي نعرف وجود الأشياء يجب أن

---

(١) فيلسوف يوناني ولد نحو ٤٩٢ ق.م من أسرة أرستقراطية , انتقد أفلاطون في نظريته في المثل , وهو مؤسس المدرسة الكلبية التي طورت التعاليم السقراطية , , كان له اتجاه سفسطائي في النقاش واذرى الرياضيات وعلم الفلك وقدم الأخلاق العملية على المعرفة النظرية , راجع جورج طرابيشي , معجم الفلاسفة , ص٩٨ بتصرف , دار الطليع بيروت , لبنان ط ٣ عام ٢٠٠٦م.

(٢) فيلسوف يوناني من مواليد قورينا في ليبيا (نحو ٤٣٥– ٣٥٥ ق.م) كان تلميذًا لسقراط وسفسطائيًا والمؤسس التقليدي للمدرسة القورينائية ولمذهب اللذة راجع المصدر السابق , ص ٥١ بتصرف.

(٣), راجع : د. أحمد فؤاد الأهواني : فجر الفلسفة قبل سقراط , ص ٢٧٥ وما بعدها بتصرف , دار إحياء الكتب العلمية , ط ا عيسى الحلبي عام ١٩٥٤م .

(٤) زكي نجيب محمود و أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية , ص٣٦ و ٣٧ و ٦٩ بتصرف .

يكون بين تصوراتنا وبين الأشياء علاقة ضرورية هي علاقة المعلوم بالعلم ؛ أي أن يكون الفكر مطابقًا للوجود وأن يوجد الوجود على ما نتصوره , ولكن هذا باطل فكثيرًا ما تخدعنا حواسنا وكثيرًا ما تركب المخيلة صورًا لا حقيقة لها , وأما عن القضية الثالثة فترجع حجته إلى أن وسيلة التفاهم بين الناس هي اللغة ولكن ألفاظ اللغة إشارات وضعية – أي رموز– , وليست مماثلة للأشياء المفروض علمها , فكما أن ما هو مدرك بالبصر ليس مدركًا بالسمع والعكس بالعكس , فإن ما هو موجود خارجًا عنا مغاير للألفاظ , فنحن ننقل للناس ألفاظنا ولا ننقل لهم الأشياء , فاللغة والوجود دائرتان متخارجتان "[١], نلاحظ من النص السابق التفسير الواهي والضعيف الذي برر به " غورغياس " قوله بهذه القضايا الثلاث , الذي ضرب به الحواس واللغة عرض الحائط والذي وإن دل على شيء فإنما يدل على ضعف التفكير وضآلة العقل.

موقف السفسطائية من الدين

عمل السفسطائيون على التشكك في الدين , وسخروا من شعائره , واختلقوا أقاويل كثيرة عنه [٢] , وشنوا حملة على كل المعتقدات الشعبية التي لاحظوا فيها الميل إلى القول بوجود الخوارق وبوجود حقيقة عالية على الوجود , وهم بهذا متأثرين بمن كان قبلهم من الفلاسفة , فلم تكن الحملة التي قاموا بها ضد الدين إلا استئناف واستمرار للحملة التي قام بها كلًا من "هرقليطس " [٣] "وديمقوقريطس" [٤] [١] .

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية , ص ٦٤ و ٦٥ .

(٢) المصدر السابق , ص٦٢ بتصرف .

(٣) فيلسوف يوناني , ولد في "أفسس" عاش في أواخر القرن السادس أو أوائل القرن الخامس ق.م , كان كاتبًا للشعر وكان شعره يتسم بالغموض حتى لقب بالغامض , وكان أسلوبه في الشعري مستوحى من النصوص الدينية , ندين لهرقليطس بأول مؤلف عقلاني في الكون بعنوان : في " الطبيعة " , راجع جورج طرابيشي , معجم الفلاسفة , ص ٦٩٧ بتصرف, فلاسفة العرب والأجانب , ص ٥٤٣ بتصرف.

(٤) فيلسوف يوناني ولد في أبديرا عام ٤٦٠ ق.م , كان تلميذًا للوقيبوس وهو الذي أكمل مذاهبه وطورها , كان سليل أسرة ثرية , سافر في شبابه لعدد كثير من البلدان كان منها مصر , لم يصلنا من مؤلفاته إلى شذرات و ولم تعرف آرائه إلا خلال نقد أرسطو لها , يُعد ديموقريطس أكبر ممثل للمذهب الذري القديم ومؤسس نظرية الجزء الذي لا يتجزأ , صنفت مؤلفات إلى رباعيات الطبيعيات والرياضيات و التقنية والفيلولوجيا , وله كتاب في الشعر وكتاب في الأخلاق , راجع : جورج طرابيشي , معجم الفلاسفة , ص ٣٠٧ بتصرف .

موقف السفسطائية من العلم

يتضح موقفهم من العلم من خلال استهانتهم بوسائله , الحس والعقل فرفضوا أي معرفة تأتي عن طريق أي منهما ولم يعترفوا بأي حقيقة لذلك فلم يكترثوا لقيمة العلم الذاتية واتخذوه وسيلة لمنافع ذاتية لهم , وهم وان كانوا اشتغلوا بالعلم إلا أنهم لم يكونوا علماء (٢) .

المطلب الثاني

المنكرون العلم بحقائق الأشياء" اللاأدرية "

اللاأدرية

هم الذين يقولون بالتوقف عن الحكم , والنظر باطل عندهم ؛ لأنه يعتمد على الحس والعقل , وهم يرون أن المعلومات التي تأتي عن طريق الحس والعقل غير يقينية ؛ لذلك يتوقفون في إصدار الأحكام التي تصل الإنسان عن طريقهما (٣), وعرفهم الأمام الرازي بقوله : " هم الذين قالوا نحن شاكون و شاكون في أنا شاكون وهلم جرا "(٤)

أعلام اللاأدرية

<u>أولاً : مؤسس اللاأدرية</u>

ينسب هذا المذهب إلى "بيرون " (٥) و لم يقف الباحثون على أي كتابات له وإنما عُرف من خلال تلاميذه , فما وصل عنه أنه رجل أراد الوصول إلى

---

(١) عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني, ص ١٧٣ بتصرف.

(٢) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية , ص ٦٢بتصرف .

(٣) جورج سارتون : تاريخ العلم , ترجمة د. توفيق الطويل وآخرون , ج ٣ , ص ٣٦٠ – ٣٦١ بتصرف ,ط :دار المعارف – القاهرة عام ١٩٦١م .

(٤)الإمام فخر الدين الرازي (محمد بن عمر بن الحسين ن الحسن بن علي المتوفي سنة ٦٠٦هـ) : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والمتكلمين , ص ٢٣ ,المطبعة الحسينية المصرية ط ١ , دون تاريخ .

(٥) فيلسوف يوناني معروف بـ" بيرون الإيلي" , ما بين (٣٦٥- ٢٧٥ ق.م تقريبًا) , مؤسس النزعة الشكية القديمة , شرحت نظريته شرحًا واضحًا في أعمال تلميذه " تيمون " , شغل نفسه بالأخلاق و مشكلات السعادة وتحقيقها وكان يسعى لبلوغ السعادة , ورأى أن في النزعة الشكية الوسيلة لتحقيق هذا , رأى أننا لا نستطيع أن نعرف أي شيء عن الأشياء , ومن ثم فمن الأفضل أن نتوقف عن الحكم عليها , وقد أثرت تعاليم " بيرون " في الأكاديمية الجديدة , راجع الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين , إشراف :

السعادة والهروب من مشاكل الحياة , فاتخذ الشك منهجًا له , ويتلخص مذهبه في أنه رأى أن على الحكيم أن يسأل نفسه ثلاثة أسئلة , أولها : يجب أن يسأل ما هي الأشياء؟ وكيف تتكون ؟, ثانيها : كيف نرتبط بهذه الأشياء ؟, ثالثها : ما يجب أن يكون عليه موقفنا إزاءها بالنسبة لما هي عليه ؟ , ويقول : كل ما نستطيع أن نجيب عليه هو أننا لا نعرف شيئًا وأن كل ما نعرفه هو كيف تبدو الأشياء لنا أما بالنسبة لجوهرها الباطني فنحن جهلاء به , والشيء نفسه يبدو مختلفًا عند الناس المختلفين , ولهذا يستحيل أن نعرف أي رأي هو الصواب , واختلاف الرأي بين الحكماء وكذلك العامة يبرهن على هذا , وكل يقين يمكن طرح يقين مضاد له على أسس قوية متساوية , ولذا فإن موقفنا تجاه الأشياء يجب أن يكون التوقف التام عن الحكم , ولهذا لا يجب أن ندلي بأية عبارات موجبة عن أي موضوع , وغيبة اليقين هذا ينطبق على المسائل العملية انطباقه على المسائل النظرية ولا شيء في ذاته حقيقي أو زائف , فلا يوجد شيء في حد ذاته خير أو شرير , بل إن الرأي والعادة والقانون هو الذي يجعلها على هذا النحو , وعندما يتحقق الحكيم من هذا سيتوقف عن تفضيل اتجاه على آخر والنتيجة هي اللامبالاة , وفي هذه اللامبالاة سينبذ كل الرغبات ؛ لأن هي الرأي بأن شيء أفضل من الرأي الآخر , بل إنه سيعيش في سكينة تامة وراحة للنفس متحررًا من كل الأوهام [(١)].

ثانيًا : ما ظهر بعد بيرون " الأكاديمية الجديدة"

بعد وفاة "أفلاطون" سارت المدرسة على نهج مؤسسها إلى أن جاء "أرسيسلاوس " [(٢)] الذي أخرجها من نهج أفلاطون وأدخلها في النزعة

روزنتال و يودين , ترجمة : سمير كرم , مراجعة : د. صادق جلال العظم و جورج طرابيشي , ص ٩٧ بتصرف , دار الطليعة , بيروت , لبنان دون تاريخ .

(١) وولتر سنيس : تاريخ الفلسفة اليونانية , ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد , ص ٢٩٤ بتصرف ,ط :دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة عام ١٩٨٤م .

(٢) فيلسوف يوناني عاش ما بين (٣١٥- ٢٤١ ق. م) وأحد مؤسسي الأكاديمية في عهدها الوسيط , وهي الأكاديمية الثانية , وقد اتصفت بتحولها من أفكار أفلاطون إلى الشكية , حيث اقتصرت على القضاء على الفلسفة القطعية , ولم تؤكد سوى مفاهيم الاحتمال , من أشهر أقواله : " إن إدراكاتنا الحسية لا يمكن أن تقودنا إلى معرفة الوقائع " , راجع الموسوعة الفلسفية ,وضع لجنة من العلماء والأكاديميينالسوفياتيين , إشراف رونتال و يودين , ترجمة سمير كرم , مراجعة : د. صادق جلال العجم و جورج طرابيشي , ص٢٠ بتصرف, دار الطليعة للطباعة والنشر ,بيروت , لبنان , دون تاريخ , وفلاسفة العرب والأجانب , ج١ , ص ٧٨ بتصرف .

الشكية , ومنذ ذلك الوقت عُرفت بالأكاديمية الجديدة [١] , وكان أول من قال بالشك في هذه المدرسة و كان على جانب عظيم من البراعة الخطابية والمقدرة الجدلية , متبع منهج كل من سقراط وأفلاطون , وكان يستخدم صيغ شكية مثل" يلوح , وقد يكون " , وكان يرى أنه ليست لدينا وسيلة للتمييز بين الفكرة الحقيقية وغير الحقيقية وليست هناك علامة للحقيقة "[٢], ومن مأثور أقواله : " لست أدري , ولست أدري أنني أدري" [٣], ومن أشهر الذين قالوا بالشك في هذه المدرسة " "كارنيدس" [٤] الذي عُرف بأنه كان صاحب عقلية علمية دقيقة , ومن أفكاره التي عُرف بها ويتبين من خلالها فلسفته قوله : " لا يمكن البرهنة إطلاقًا على شيء ؛ لأن النتيجة يجب أن تبرهن عليها مقدمات وهذه بدورها تقتضي برهانًا وهكذا إلى ما لا نهاية , أيضًا يستحيل أن نعرف ما إذا كانت أفكارنا عن شيء ما حقيقية ؛ لأننا لا نستطيع أن نقارن بين فكرتنا والشيء نفسه [٥] " , وقام بنقد كلا من الحواس والعقل والعَرف , وقال بالاحتمال والترجيح , ووضع لذلك ثلاثة شروط : الأول : الانتباه , فكل ما انتبهنا إليه من التصورات وبدا واضحًا صدقناه مع الاحتفاظ برأينا أنه قد يكون كاذبًا أي اعتبرناه محتملًا .الثاني : عدم تناقض التصورات , مثال ذلك إذا أبصرنا شخصًا فإني أبصر وجهه وقامته ولونه وحركاته وثيابه والأشياء المحيطة به , فإذا اجتمعت هذه كلها صدقت الرؤية أي اعتبرتها محتملة , أما إن غاب بعضها فقد وجب علي الحذر .الثالث :امتحان التصورات في جميع تفاصيلها , مثال ذلك , إذا أبصرت حبلًا وظننته ثعبانًا فإني أضربه بالعصا لأعلم ما هو , بهذه الشروط نستطيع أن نطمئن إلى التصور , ولكنها لا تخولنا

---

(١) المصدر السابق, ص ٢٩٧ بتصرف.
(٢) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية , ص ٢٧٨- ٢٧٩ بتصرف.
(٣) زكي نجيب محمود و أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية , ص ١٩٠, مؤسسة هنداوي , دون تاريخ.
(٤) فيلسوف يوناني , عاش ما بين (٢١٤ – ١٢٩ ق. م) كان رئيس الأكاديمية الجديدة , صاحب نزعة شكية , تنسب إليه بعض الآراء الضعيفة للدعوة إلى الآراء الشكية التي تتصف بها الأكاديمية , وهي : أن المعرفة الحقيقية مستحيلة , والمعرفة جميعها هي على الأكثر تأكيد احتمالي , وقد وجه " كارنيدس" نقد إلى البرهان الغائي عن الكائن الإلهي , ودعا إلى المذهب الشكي , : راجع الموسوعة الفلسفية , ص ٣٨٤ بتصرف .
(٥) وولتر سنيس : تاريخ الفلسفة, ص ٢٩٧ بتصرف.

الحق في الحكم على الشيء في ذاته, هي محك للتصور فقط , والاحتمال المستند إليها معادل عمليًا للحقيقة الممتنعة الإدراك " [١].

تلاميذ بيرون

أناسيداموس[٢]

يعد " أناسيداموس " من أشهر تلاميذ " بيرون "وعمل على شهرته الحجج التي وضعها للمذهب , فقد قام بوضع عشر حجج ليقوي بها المذهب ويدعمه , وهذه الحجج هي :

الأولى : لا يمكن الحكم على حقيقة الأشياء ؛ لأن الأشياء تختلف باختلاف الكائنات , فبصر الصقر أحد من بصر الكلب في حين أن قدرة الكلب على الشم أقوى .

الثانية : تختلف الأحكام باختلاف طبيعة الأشخاص وقدراتهم فالبعض يقدر على ممارسة الزراعة والبعض لا , ويقدر على ممارسة غيرها من الصناعات .

الثالثة: تختلف الأحكام باختلاف الحواس , فقد تظهر التفاحة في العين باهتة اللون لكنها حلوة المذاق في الفم .

الرابعة : تختلف الأحكام بسبب التغير المستمر في حالاتنا الصحية والنفسية وما ينتابنا من حزن وألم .

الخامسة : تختلف الأحكام باختلاف النظم والعادات والقيم في المجتمعات , فما يبدو للناس عدلًا لا يبدو عند البعض الآخر كذلك .

السادسة : تختلف الأحكام باختلاف تنظيم الأشياء ووضعها في المكان وعلاقتها بغيرها , فاللون في ضوء الشمس يبدو مختلفًا عما نراه في ضوء القمر , والحجر الثقيل عند رفعه في الهواء يرتفع بسهولة عما إذا رفعناه في الماء .

السابعة : تختلف الأشياء بحسب قربها وبعدها , فالشمس تبدو صغيرة لبعدها عنا والجبل كذلك.

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية , ص ٢٧٩ بتصرف.

(٢) ولد في القرن الأول ق.م , فيلسوف شكي يوناني و تلميذ لـــ "بيرون" , ومن أتباع أكاديميـــة أفلاطون , دعا إلى النزعة الشكية , راجع الموسوعة الفلسفية ص ٦٥ بتصرف.

الثامنة : تختلف الأشياء بحسب الشيء المدرك فالنبيذ مثلًا إذا أخذناه بنسبة معينة أفاد وإذا زاد عن هذه النسبة أضر(١).
التاسعة : تختلف الأحكام بحسب المألوف والنادر, فالذين يتعودون على الزلازل لا يخافون منها كغيرها
العاشرة : تختلف الأشياء بحسب علاقتها بنا , فالأبن مثلًا يختلف إدراكه لأبيه عن إدراكه للغريب (٢).
من الملاحظ وبدون إمعان نظر, ضعف الحجج فضلًا عن كونها واهية , وهي وإن دلت على شيء فإنها تدل على أن القائل بها ما أراد سوى تخليد ذكراه بأي شيء كان , وليته ما فعل ؛ لأنه لم يضف دعم وأساس لمذهب أستاذه كما ذكر, وإنما أضاف خبلًا وسفه فساده ظاهر ليس للعوام فقط بل للصبيان والأطفال , فنجد أنه تحدث عن اختلاف أحوالنا وإدراكنا وقربنا وبعدنا وعادتنا وعرفنا إلخ ,فكل حديثه عن الشخص المدرِك وليس الشيء المُدرَك ؛ لذلك فالأشياء والحقائق ثابتة والاختلاف الذي تحدث عنه يرجع للمُدرِك وليس للشيء المُدرك.

أجريبا(٣)

اشتهر بوضع حجج خمس لتعميم المذهب كما فعل " أناسيداموس" , الأولى والثانية منهم تضمن الحجج العشر عند" أناسيداموس" والثالثة ترى أنه لكي نسلم بشيء لابد أن نبرهن عليه وهذا البرهان يحتاج إلى برهان آخر سابق عليه وهكذا باستمرار إلى غير نهاية , والرابعة : تتلخص في أن المبادئ التي تبنى عليها البراهين هي فروض لا برهان عليها, والخامسة هي أن الفلاسفة

(١) هذا بحسب اعتقاده , وسمي نبيذ ؛ لأن الذي يتخذه يأخذ تمرًا أو زبيبًا فينبذه في وعاء أو سقاء ويضع عليه الماء ويتركه يفور فيصير مسكرًا وكل مسكر حرام في الإسلام , راجع ابن منظور : لسان العرب ,تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي , ج١٤, ١٧ بتصرف , دار إحياء العربي , ط ٣ عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
(٢) أميرة مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها , ص ٣٥٥– ٣٥٦ بتصرف , دار قباء للطباعة والنشر , القاهرة عام ١٩٩٨م
(٣) هو "أجريبا فون نيتيس هايم" : (١٤٨٦– ١٥٣٥م) كاتب الماني وجندي وطبيب ,ترك العديد من المؤلفات منها : الفلسفة المستورة , والزواج المقدس , والشك وكبرياء العلوم والفنون وامتيازها ", راجع : د. حسن نفعة و كليفورد بوزورث : تراث الإسلام , ترجمة : د. حسين مؤنس و د. إحسان صدقي العمد , مراجعة د. فؤاد زكريا , ج ٢ , ٢٨٨ , سلسلة عالم المعرفة ,المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت عام ١٩٨٧م.

قد يتناقضون فيما بينهم وبين أنفسهم [١], من الملاحظ أيضًا فساد هذه الحجج , نترك الأولى والثانية ؛ لأنها تحتوي على الحجج العشر كما ذكر وقد سبق الحديث عنها , أما الحجة الثالثة عنده , فإذا نظرنا إليها فلماذا كما ذكر يحتاج البرهان إل برهان آخر وهكذا إلى غير نهاية ؟ , فإذا اعتمد البرهان على مقدمات حقيقية فإنه يؤدي إلى نتائج صحيحة يقينية هكذا تقول قواعد المنطق والتفكير العلمي الصحيح , فكل العلوم النظرية والعملية التجريبية منها وغيرها تبنى على المناهج المنطقية التي تؤدي إلى نتائج صحيحة للبراهين , والحجة الرابعة و هي قوله : أن المبادئ التي تبنى عليها البراهين هي فروض لا برهان عليها , فلا أدري ما يقول , فكيف تحتاج البديهيات خاصة وإن كانت جلية إلى براهين عليها ؟ ,أما الحجة الخامسة وهي قوله : أن الفلاسفة قد يتناقضون فيما بينهم وبين أنفسهم , فالرد عليها هو أن التناقض بين الفلاسفة راجع لآرائهم هم وليس للشيء المختلف عليه .

(١) أميرة مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها , ص ٣٥٥- ٣٥٦ بتصرف.

المبحث الثالث
موقف المدرسة الماتريدية من الشكاك

تظهر فلسفة الشك عند المدرسة الماتريدية من خلال موقفهم تجاه الشك المطلق ورفضهم للمذاهب التي قالت به ومحاولتهم دائمًا في إثبات حقائق الأشياء , فعند إثبات الحقائق التأكيد على عدم إنكارها وردا على منكريها سواء من أنكر أي حقيقة أو توقف الحكم عنده هو, أو من قال لا أعلم ولا أدري ولهذا تنوعت ردود المدرسة الماتريدية في الرد على الشكاك ؛ حيث شملت ردودهم أصحاب مذاهب الشك سواء من أنكر منهم حقائق الأشياء بإنكارهم للوسائل المؤدية إليها , وضمن ردهم على هذه الطائفة الرد على من توقف الحكم عنده وهم من تسموا بـــ "العندية " كما مر , أو من أنكروا العلم بها واكتفوا بقولهم لا أدري , ولهذا احتوى هذا المبحث على مطلبين.

المطلب الأول : موقف المدرسة الماتريدية ممن ينكرون حقائق الأشياء.

المطلب الثاني : موقف المدرسة الماتريدية ممن ينكرون العلم بحقائق الأشياء.

المطلب الأول

موقف المدرسة الماتريدية ممن ينكرون حقائق الأشياء

وضع الإمام الماتريدي اللبنة الأولى للرد على الشكاك وأطلق الشرارة الأولى لأتباعه الذين يأتون من بعده , وجاء رده على من ينكرون حقائق الأشياء ردًا حاسمًا , فتحدث الإمام عن هذه الطائفة في معرض حديثه عن السَبل الموصلة لحقائق الأشياء وأطلق على من أنكر هذه الحقائق بأنه مكابرًا وأحط رتبة من البهائم وذلك ؛ لأن البهائم تعلم ما به بقائها وفنائها , وما تتلذذ به وتتألم , أما هؤلاء فهم ينكرون كل شيء حتى الأمور التي تدركها البهائم , فلما كانت البهائم تعلم ما لا يعلمون صاروا بهذا الأمر أحط قدرًا منها , يقول الإمام : " ...فمن قال بضده من الجهل فهو الذي يسمى منكره كل سامع مكابرًا تأبى طبيعة البهائم أن يكون ذلك رتبتها إذا أكل منها يعلم ما به بقاؤها وفناؤها وما يتلذذ به ويتألم وصاحب هذا ينكر ذلك "[1] , هذا وقد سار على نهج الإمام الماتريدي أتباعه , فهذا الإمام " أبو المعين النسفي" يرد ردًا مفصلًا على طائفة من الذين ينكرون حقائق الأشياء وهم السفسطائية في أثناء حديثه عن إثبات حقائق الأشياء كما فعل إمامه ومعلمه الإمام" الماتريدي" حيث قال :" أجمع العقلاء على ثبوت العلم والحقائق للأشياء , سوى طائفة من الأوائل تجاهلت ورضيت لنفسها رتبة تستنكف البهائم عنها , فزعمت أن لا حقيقة لشيء ولا علم بشيء وإنما هي ظنون وحسبانات "[2], قصد بقوله " طائفة من الأوائل "- السفسطائية -, حيث صرح بذكرهم في موضع آخر , فنجده يقول : " حقائق الأشياء ثابتة . والعلم بها متحقق خلافًا للسفسطائية "[3] , أيضًا صرح بذكرهم الإمام أبو إسحق إبراهيم الصفار في أثناء حديثه عن إثبات حقائق الأشياء حيث قال : " فقد اتفق أولو الألباب على ثبوت العلوم والحقائق ,

---

(١) الماتريدي : التوحيد ص٨

(٢) النسفي " أبو المعين ميمون بن محمد النسفي المتوفي سنة ٥٠٨هـ" " : تبصرة الأدلة في أصول الدين ,تحقيق وتعليق : أ. د محمد الأنور حامد عيسى ,ج ١, ص١٣٧ , ط ١ عام ٢٠١١م

(٣) النسفي: التمهيد لقواعد التوحيد , تقديم : أ. د محمد ربيع الجوهري الأستاذ بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة وعميدها الأسبق ,و عضو هيئة كبار العلماء , دراسة وتحقيق : أ. د حبيب الله حسن أحمد الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة , ص ١١٨.

وخالفهم قوم متجاهلة يقال لهم السوفسطائية "[١] , وتحدث الإمام نور الدين الصابوني في معرض حديثه عن أسباب حصول العلم حيث قال : " وأنكر ذلك كله طائفة يقال لهم السفسطائية , فأنكر بعضهم حقائق الأشياء " [٢] , واستثناهم الإمام أبو البركات النسفي من الذين يعترفون بحقائق الأشياء ويقولون بها , حيث قال : " قال أهل الحق : حقائق الأشياء ثابتة خلافًا للسفسطائية "[٣].

وقد كان إنكار هؤلاء لحقائق الأشياء بناء على إنكارهم لوسائل المعرفة التي يتوصل بها لهذه الحقائق وقد قام الإمام الماتريدي ومن جاء من بعده بتفنيد آرائهم والرد عليهم على النحو التالي :

أولًا : منكرو الحواس والرد عليهم

عند الوقوف على موقف الإمام الماتريدي ممن ينكرون الحواس كوسيلة من وسائل المعرفة لحقائق الأشياء نجد أنه رأى أن العيان الذي وسيلته الحواس هو الأصل في العلم والمعرفة , فمن أنكر العيان فقد أنكر الحواس التي هي وسيلته , ورأى أن هؤلاء أقل رتبة من البهائم [٤] كما مر, هذا , ومنكري الحواس عند الإمام أبو المعين النسفي هم السفسطائية , فقد ذكرهم في معرض حديثه عن أسباب العلوم والمعارف والتي عد أولها الحواس الخمس حيث قال :" والسفسطائية أنكروها كلها " [٥] , وقد رد الإمام أبو المعين النسفي على منكري الحواس هؤلاء بعد أن ذكر دليلهم على إنكارهم للحواس وهو أن حجتهم في نفي العلم الذي يأتي عن طريق الحواس ,هي أن قضاياها متناقضة حيث قال ذاكرًا حجتهم : " وشبهتهم أن أعلا أسباب العلم عندكم الحواس الخمس , وهي لا تصلح سببًا له ؛ لأن قضاياها متناقضة , فإن المرور يجد العسل مُرًا , وغيره يجده حُلوًا , والأحول يرى الشيء شيئين ,وغيره يراه

---

(١) الصفار " أبو إسحق إبراهيم بن إسماعيل الفار البخاري المتوفي عام ٥٣٤هـ " تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد , تحقيق : أنجيليكا برودشن , ج ١ , ص ٧٤ , المعهد الألماني للأبحاث الشرقية , بيروت – لبنان , ط ١ عام ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

(٢) الصابوني : "الإمام أحمد بن محمود بن بكر الصابوني المتوفي عام ٥٨٠هـ " : البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين , ص ٣١.

(٣) النسفي " أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفي عام ٧١٠هـ" : شرح العمدة في عقيدة أهل السَنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد , ص ١٠٨.

(٤) الماتريدي : التوحيد , ص ٨ بتصرف.

(٥) النسفي " أبو المعين " :تبصرة الأدلة , ج ١ ,ص ١٤٢.

واحدًا , وذلك كله عمل الحس , وما تناقضت قضاياه كل هذا التناقض لا يصلح دليلًا لشيء , فضلًا عن أن يكون سببًا مُثبتًا " (١) , وبعد أن ذكر الإمام النسفي دليلهم قام بالرد عليهم حيث قال : " الخلاف بيننا وبينهم في الحواس في حال سلامتها , ولا تتناقض قضاياها عند سلامتها , وإنما يختل إدراكها عند اعتراض الآفات عليها " (٢) , مثل هذا الرد نجده عند أرسطو في رده عليهم في إنكارهم للحواس وتبريرهم أنها خادعة حيث نجده يقول : " أن الضدين ممكن أن يجتمعا في الشيء الواحد في آن واحد ولكن من جهتين مختلفتين لا من جهة واحدة ؛ وأن الحكم على الشيء في ذاته ميسور ؛ لأن مذاق الشيء مثلًا لا يتغير عند الإنسان إلا بتغيير حالته من الصحة إلى المرض , فالمصاب بالزكام القوي يفقد القدرة على تذوق الأشياء وشمها , فلا يقال إن الأشياء تبدوعند الواحد على صور شتى إلا مع مراعاة التغير الذي طرأ على أدوات الإدراك عنده " (٣) , ومن الردود عليهم أيضًا رد ابن حزم حيث قال : " ... وكذلك يشهد الحس أيضًا بأن تبدل المحسوس عن صفته اللازمة تحت الحس إنما هو لأفة في حس الحاس له لا في المحسوس " (٤) , وقال الإمام نور الدين الصابوني بعد أن تحدث عن أسباب العلوم والمعارف والتي منها الحواس أن السفسطائية أنكرت كل أسباب العلم الثلاث (الحواس و الخبر والنظر) : " وأنكر ذلك كله طائفة يقال لهم السفسطائية " (٥).

ثانيًا : منكرو الخبر والرد عليهم

رأى الإمام الماتريدي أن من أنكر وسيلة الخبر التي هي من وسائل المعرفة على الإجمال يلحق بالفريق الأول في الرتبة ؛ لأن إنكار مطلق الخبر إنكار لإنكاره أنه ينكر ؛ لأن إنكاره خبر ضمن الأخبار فإذ أنكر مطلق الخبر, فقد أنكر كونه منكر للخبر فصار منكرًا لحقيقة من الحقائق ؛ لذلك يكون مثل

---

(١) المصدر السابق نفس الجزء, ص ١٣٩ , و شرح العمدة , ص ١١٠ .
(٢) المصدر السابق , ص ١١١ .
(٣) توفيق الطويل: أسس الفلسفة ص ٢٤٥.
(٤) ابن حزم " الأمام أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري المتوفي عام ٤٥٦هـ" : الفصل في الملل والأهواء والنحل, تحقيق : د. محمد إبراهيم نصير و د. عبد الرحمن عميرة ,ج ١ , ص ٤٣, دار الجيل , بيروت , لبنان , دون تاريخ .
(٥) الصابوني " الإمام أحمد بن محمود بن بكر الصابوني المتوفي عام ٥٨٠ هـ ": البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين , ص ٣١.

الفريق الأول فيأخذ نفس حكمه يقول الإمام : " والأخبار نوعان من أنكر جملته لحق بالفريق الأول ؛لأنه أنكر إنكاره إذ إنكاره خبر" [١] , أيضًا ؛ لأنه بذلك أنكر كل الأخبار حتى نسبه وأصله ؛ لأن كل هذه تعد من الأخبار وهو من منكر جملتها يقول الإمام الماتريدي : " فيصير منكرًا عند إنكاره مع ما فيه جهل نسبه ومائيته واسم جوهره واسم كل شيء " [٢] , ومنكري الخبر عند الإمام أبو المعين النسفي هم السفسطائية , فقد مرأنه عدهم من منكري كل أسباب العلوم والمعارف وأضاف إليهم ممن أنكر الخبر السمنية والبراهمة [٣], فقال في أثناء حديثه عن السفسطائية وكونهم أنكروا كل أسباب العلوم والمعارف : " و وافقهم في نفي كون الخبر من أسباب المعارف فريقان (من الأوائل (, أحدهما : السمنية والآخر : البراهمة " [٤] , ثم ذكر حجتهم في نفيهم كون الخبر من أسباب العلوم والمعارف حيث قال : " يقولون : إنه قد يكون صدقًا , وقد يكون كذبًا , فكان في نفسه مختلفًا , ولا ندري الصدق من الكذب , فلا يثبت به العلم " [٥] , وبعد أن عرض شبهتهم قام بالرد عليهم , فنجده يقول : " فيقال لهم : قولكم إن الخبر ليس من أسباب المعارف خبر منكم , وقد أقررتم ببطلان الخبر , فكان هذا إقرارًا ببطلان مقالتكم "[٦] , وبعد إجماله الرد على منكري الخبر من السفسطائية والسمنية والبراهمة وغيرهم أفرد ردًا مخصوص على السمنية , و قد يكون هذا الإفراد المخصوص في الرد ؛ لأنهم لا يعترفون من وسائل المعرفة إلا الحس فقط ليس غيره , فأراد أن يوقعهم في التناقض حيث قال لهم : " ويقال للسمنية منهم : بم عرفتم أن ما وراء الحواس ليس بحجة , ولا ممن أسباب المعارف ؟ أبالحس عرفتم أم بغير الحس ؟ فإن قالوا : عرفنا بالحس , قيل لهم : بأي

---

(١) الماتريدي : التوحيد , ص ٨.
(٢) المصدر السابق , الموضع نفسه.
(٣) السمنية , قيل أنها نسبة إلى " سومنت " بلد بالهند , وهي فرقة بالهند دهرية تقول بالتناسخ , وتنكر وقوع العلم ,بالأخبار , زاعمين أن لا طريق للعلم سوى الحس , البراهمة : طائفة من الهنود لا يجوزون على الله – تعالى – بعث الأنبياء , ويحرمون لحوم الحيوان , راجع: مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط , ص ٤٢٥ و ٥٣ بتصرف , مكتبة الشروق الدولية , ط ٤ عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٤م.
(٤) الإمام النسفي " أبو المعين " : تبصرة الأدلة , ص ١٤٢.
(٥) المصدر السابق , الموضع نفسه.
(٦) الإمام النسفي " أبو المعين " : تبصرة الأدلة , ص ١٤٢.

حس عرفتم ؟ ويذكر كل حس على حدة ليظهر بطلان دعواهم , ويقال لهم : ما بالنا لا نعرف ذلك إلا بالحس , ونحن أرباب (الحواس السليمة , ولا يجري الاختلاف في المحسوسات بين أرباب الحواس السليمة ؟ وإن قالوا : عرفنا ذلك بغير الحس , فقد أقروا شيئًا ؛ لأنهم تكلموا بلغة من اللغات , ومعرفة اللسان واللغة ليست بالحس , ولا بالعقل , إذ أوفر خليقة الله عقلًا , وأذكاهم حسًا , لو سمع لغة لم يتعلمها , لا يعرف معناها , وإنما يعرف ذلك بإخبار المُلقن " (١) , أيضًا ذكر لهم أن بإنكارهم للخبر إنكارهم لوسيلة المعرفة التي لا يؤمنون بغيرها وذلك ؛ لأن بالحواس نتلقى الأخبار, فإذا أنكرنا الخبر فكأننا عطلنا هذه الحواس التي خلقها الله – تعالى – لنا , فلابد أن تؤدي الدور الذي خلقت من أجله وتميزت به عن سائر المخلوقات يقول الأمام النسفي : " ثم بإنكار الخبر تعطيل السمع واللسان وكفران لنعمة الله تعالى بهما , والحاق نفسه بالبهائم إذ بالبيان بان الإنسان من الحيوان , ولا يرضى بهذه الرتبة لنفسه مجنون " (٢) , وبهذه النصوص , فقد لقن الإمام أبو المعين السمنية درسًا بهذا الرد المستفيض, وبعد هذا الدرس الملقن للسمنية عاد وأجمل الرد على منكري الخبر وذكر دليلًا آخر على كون الخبر من أسباب العلم , حيث قال : " ولا يقال إن الخبر إن بطل فسائر أقسام الكلام باق , وهي الاستخبار والأمر والنهي ؛ لأن هذه الأقسام لا يعرف صيغها إلا بإخبار المُلقن , و ؛ لأن كل قسم من هذه الأقسام يبطل بإبطال الخبر "(٣) ورد الإمام نور الدين الصابوني على منكري الخبر متهكمًا عليهم إذ لا يقول بمثل قولهم هذا عاقل , فنجده يقول : " وأنكرت السمنية والبراهمة كون الخبر من أسباب العلم وهو قريب من إنكار السفسطائية , فإنهم ينكرون العلم الضروري بواسطة الخبر المتواتر , ولو لم يكن الخبر من أسباب العلم كيف يعرف الإنسان والده وأخاه وعمه وسائر أقاربه ؛ إذ لا طريق لمعرفة هؤلاء إلا بالخبر "(٤).

---

(١) المصدر السابق , ص ١٤٣.
(٢) المصدر السابق , الموضع نفسه.
(٣) المصدر السابق , الموضع نفسه.
(٤) الصابوني " نور الدين الصابوني " : البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين , حققه وقدم له د. فتح الله خليف , ص ٣١, دار المعارف عام ١٩٦٩م.

ثالثًا : منكرو النظر والرد عليهم

يمكننا تلمس رد الإمام الماتريدي على منكري النظر من خلال إقراره لما يلي :

أولًا : النظر ثبت بالقرآن الكريم المعجزة الكبرى للنبي الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم –

قام الإمام الماتريدي بالرد على أن من أنكر النظر الذي ثبت بالأدلة المعجزة من القرآن الكريم , فقد قال الله تعالى :﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ١٧﴾ [الغاشية: ١٧] , و قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤] , وغيرها من الآيات اتي تدعوا إلى النظر , ورأى أن خير وسيلة للرد على هؤلاء هي النظر , يقول الإمام الماتريدي : " مع ما ليس لمن ينكر النظر على دفعه سوى النظر فدل على لزوم النظر بما في دفعه "(١) .

ثانيًا : النظر سبب في معرفة الحكمة من الخلق

ذكر الامام الماتريدي أن معرفة الحكمة من خلق الكون , وأن خلقه – تعالى – للكون و ما فيه ليس عبثًا لا يكون إلا بالنظر , يقول الإمام : " مع لابد من معرفة ما في الخلق من الحكمة إذ لا يجوز فعل مثله عبثًا وما فيه من الدلالة على من أنشأه أو على كونه بنفسه أو حدث أو قدم وكل ذلك مما لا سبيل إلى العلم به إلا بالنظر "(٢).

ثالثًا : النظر ميزة اختص بها الله – تعالى – البشر

أكد الإمام الماتريدي على أن النظر من الميزات التي ميز الله تعالى بها البشر عن غيرهم من المخلوقات , فقد منحهم العقول التي هي أداة النظر والتي بها يتم معرفة الأصلح لهم وما يستقيم به معاشهم يقول الإمام : " على أن البشر خص بملك تدبير الخلائق والمحنة فيها وطلب الأصلح لهم في العقول واختيار المحاسن في ذلك واتقاء ذلك ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا باستعمال العقول بالنظر في الأشياء "(٣) , وإضافة لما ذكره الإمام الماتريدي في الرد على منكري النظر , فقد استفاض الإمام أبو المعين النسفي في الرد على هؤلاء

---

(١) الماتريدي : التوحيد , ص ١٠.
(٢) المصدر السابق , الموضع نفسه.
(٣) الماتريدي : التوحيد, ص ١١.

وذكر عدة أدلة تبين كون النظر من أسباب العلوم والمعارف : " بعد أن بين أن العقل من أسباب المعارف والعلوم ومن ذلك ما يلي :

أولًا: أن النظر يفضي إلى العلم إذا استوفى شرائطه

يقول الإمام أبو المعين النسفي : " الدليل على أن النظر طريق العلم أن من اشتغل به , واستوفى شرائط النظر , أفضى به إلى العلم لا محالة "(١).

ثانيًا : بالنظر يميز الإنسان بين النافع والضار

بين الإمام أبو المعين النسفي أن العقل الذي ميز الله به الإنسان عن سائر المخلوقات هو أداة النظر الذي يميز به بين النافع والضار فيقبل من خلاله على كل نافع ويبتعد عن كل ضار , يقول الإمام أبو المعين النسفي : " النظر مما يفضي إلى العلم , مما جبل عليه البشر وكذا العقلاء بأسرهم ينظرون في المكاسب ويميزون بين النافعة منها والضارة , فيشتغلون بالنافعة منها الرابحة , ويتجنبون الضارة الخاسرة , ولو تؤمل هذا الجاحد لوجد مشتغلًا به في أكثر حالات لتسوية أموره الدنيوية لا يلتأم له أمر معيشته , ولا ينتظم أسباب تزجية عمره إلا بذلك " (٢).

ثالثًا : إن في نفي النظر إثبات

نافي النظر ينفيه بالنظر حيث أن دليله لنفي النظر قائم على النظر من ذلك قوله في إنكاره للنظر : إن قضاياه متناقضة , فحكمه على قضايا النظر بالتناقض نظر , وفي ذلك نجد الإمام أبو المعين يقول : " النظر في نفيه إثبات إذ نافي النظر ينفيه به , إذ ليس له دليل سوى النظر , فإنه لو ادعى معرفة صحة نفيه بالحواس أو بالبداهة لطولب بإحالة ذلك إلى حاسة معينة , فيظهر حينئذ تعنته , وكذلك لو ادعى معرفته بالبداهة , ويقال له : إنا أرباب الحواس السليمة والعقول الوافرة , فما بالنا لا نعرف ؟ فإن قال : إنكم تعرفون ذلك غير أنكم تعاندون لا ينفصل ممن يقلب عليه الأمر ويقول له : إنك تعرف صحة قولي وفساد قول نفسك , غير أنك تعاند , فلم يبق له إلا النظر " (٣) , وقد بين الإمام نور الدين الصابوني في رده على منكري النظر أن قضايا

---

(١) الإمام النسفي " أبو المعين " : تبصرة الأدلة , ص ١٤٦.
(٢) المصدر السابق , ص ١٤٦و ١٤٧.
(٣) المصدر السابق , ص ١٤٧.

العقل لا تتناقض وإنما اختلاف العقلاء يكون راجع إما لقصور عقولهم عن النظر أو لعدم استجماع شرائطه , يقول الإمام الصابوني : " لا تناقض قضايا العقل , وإنما اختلفت العقلاء فيما بينهم إما لقصور عقلهم من بلوغ درجة النظر أو لتقصيرهم في شرائطه , فيحكم بعضهم بالهوى والظن ويدعي أنه يحكم بالعقل "(١) , وقام الإمام بذكر مثال لهذا القصور يوضح به ما أراد بيانه لهم , فقال : " كجماعة سئلوا : كم ثلاثة في ثلاثة ؟ لا يختلفون في جوابه أنه تسعة , ولو سئلوا : كم ثلاثة عشر في ثلاثة عشر ؟ ربما يختلف جوابهم في ذلك لما قلنا , لا لاختلاف قضية العقل هذا , واعتبر هذا بنظر العين " (٢) , ويذكر أيضًا خاتمًا حديثه لهم في هذا الأمر بقوله : " ثم العقول متفاوتة في أصل الفطرة عندنا ...., ولا وجه لإنكاره , فكم من صبي صغير يستخرج بعقله من غير تجربة ولا تعلم ما يعجز عنه البالغ الكبير " (٣).

توصية المدرسة الماتريدية بعدم مناظرة منكري حقائق الأشياء :

وصى الإمام الماتريدي بعدم مناظرة هؤلاء , وذلك ؛ لأنهم لا يعترفون بأي شيء , فلا يعترفون بأنهم موجودين ولا يعترفوا بأن هناك مناظرة وأنهم حاضرون لها ولا يعترفون بموضوع المناظرة, ولا بأصل أي شيء وحقيقته حتى يناظروا فيه يقول الإمام : " وأجمع أن لا يناظر مع من كان ذلك قوله إذ لا يثبت إنكاره ولا حضوره بنفسه والمناظرة في مائية الشيء أو هستيته وهو لهما وللدفع جميعًا دافع "(٤) ,و الإمام الماتريدي متبعًا شيخه الإمام أبو حنيفة حيث أوصى بعدم مناظرتهم وتركهم حتى يأتيهم الموت فحينئذ يدركون الحقائق , وذلك ؛ لأن الموت حقيقة من الحقائق , فقد روي عن أبي حنيفة قال حينما لقى واحدًا منهم– أي السفسطائية – وأخذ يحاجه ويلزمه وهو ينكر : " لا فائدة في الكلام معه , فدعه حتى يعاين الموت , فيتحقق عنه الحقائق بحيث لا يمكنه دفعها " (٥) , وعلى نفس الدرب سار الإمام أبو المعين النسفي ووصى بعدم مناظرة هؤلاء متبعًا في ذلك منهج شيخ مدرسته وإمامها الإمام

---

(١) الصابوني " نور الدين الصابوني " : البداية من الكفاية في الهداية في أصول الـــدين , ص ٣٢.

(٢) المصدر السابق , نفس الموضع .

(٣) المصدر السابق , ص٣٣.

(٤) الإمام الماتريدي : التوحيد , ص ٨.

(٥) أبو إسحق الصفار : تلحيص الأدلة , ج ١ , ص ٧٦.

الماتريدي الذي اتبع بدوره شيخه الإمام أبو حنيفة , وبشيء من التفصيل تحدث عن أسباب عدم مناظرة هؤلاء و التي كانت على النحو التالي :
الأول : المناظرة تقوم على العلم الحاصل عن النظر الذي يكون طريق إثباته قائم على الأدلة والبراهين في إثبات صحة قول وإبطال قول آخر, فكيف تتم مناظرتهم وهم ينكرون كل شيء حتى العلم الذي يأتي عن طريق البداهة والحواس ؟, فمن أنكر العلم الذي يأتي عن طريق الحواس أنكر ضرورة , العلم الذي يأتي عن طريق النظر والاستدلال الذي تقوم عليه المناظرة .

الثاني :لابد في المناظرة من أصول مسلمة حكمها الإثبات والعكس فيتناظران في أمر يختلفان عليه في إلحاقه بأي الأصلين المتفق عليه بينهما ولما لم تكن هناك أصول بينهما متفق عليها استحالت المناظر بينهما , يقول الإمام أبو المعين النسفي ذاكرًا إجماع العقلاء على عدم مناظرة هؤلاء وبيان الأسباب التي دعت إلى هذا الإجماع :" وأجمع العقلاء على أن لا مناظرة بيننا وبين من هذا قوله " (١), نفس المقولة نجدها عند الإمام أبو البركات النسفي , حيث قال : "ولا مناظرة مع هؤلاء بإجماع العقلاء " (٢) , ثم يبدأ الإمام أبو المعين النسفي في الشروع في بيان أسباب عدم المناظرة مع هؤلاء فيقول : " لأن فائدة المناظرة أن يثبت بالدلائل صحة قول وبطلان قول آخر , والعلم الحاصل عن النظر في الدلائل وإن كان يبلغ النهاية في القوة فطريقه أخفى من طريق علم الحواس والبداهة ومن بلغ في الوقاحة والعناد مبلغًا لا يبالي من إنكاره ما يثبت من العلوم والحقائق بالحواس والبداهة في العقول , لا يرجى منه قبول العلم الثابت بالاستدلال " (٣) , هذا عن السبب الأول ويذكر السبب الثاني قائلًا : " المناظرة تكون بين اثنين بينهما أصول مسلمة حكمها الإثبات وأصول اخر مسلمة حكمها النفي , ووجد فرع له شبه بكلا النوعين في الأصول بوجه من الوجوه , فيختلف اثنان أن إلحاقه بأي الأصلين أولى , وشبهه بأيهما كان بوصف العلة , وبأيهما كان بوصف الوجود, أعني ما وجد اتفاقًا من غير أن يكون الواقع اتفاقًا فيلحق بالأصل

---

(١) النسفي " أبو المعين " : تبصرة الأدلة في أصول الدين , ص١٣٧.
(٢) النسفي " أبو البركات المتوفي عام ٧١٠هـ" : شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد , ص ١٠٨.
(٣) النسفي " أبو المعين " : تبصرة الأدلة في أصول الدين , ص١٣٧

الذي يشاركه في وصف علة الحكم الثابت فيه , وإذا لم يكن لهؤلاء المتجاهلة أصل مجمع عليه لا يتصور مناظرتهم " [(١)] , ونفس الأسباب التي دعت الإمام أبو المعين لمنع المناظرة مع هؤلاء نجدها عند الإمام أبو البركات النسفي في أثناء حديثه بالتوصية بعدم مناظرة هؤلاء , يقول الإمام أبو البركات النسفي ذاكرًا السبب الأول الذي يمنع من مناظرة هؤلاء : " وهذا لأن فائدة المناظرة أن يثبت بالدليل صحة قول , وبطلان قول آخر , والعلم الحاصل بالدليل أخفى من العلم الحاصل بالحواس , والمنكر للثاني منكر للأول ضرورة " [(٢)] , هذا عن السبب الأول , ويذكر السبب الثاني قائلًا : " ولأن المناظرة إنما تكون بين اثنين إذا كان بينهما أصل مسلم حكمه الإثبات وأصل آخر حكمه النفي , فاختلفا في فرع له شبه بهما أن إلحاقه بأي الأصلين أقوى , وإذا لم يكن لهم أصل مسلم لا يتصور مناظرتهم , والعلم بها متحقق " [(٣)] , ورأى الإمام أبو إسحق إبراهيم الصفار أنه لا فائدة من الكلام مع هؤلاء حيث قال : " من أنكر وجود نفسه ووجود خصمه , ووجود الكلام لم يفد الكلام معه " [(٤)] .

نصيحة المدرسة الماتريدية لمن يناظر منكري حقائق الأشياء وكيفية الرد عليهم :

هذا وإن حدث وتمت المناظرة لأحد من هؤلاء فينصح الإمام الماتريدي بسؤاله , فيَسأل : عن كونه يعلم أنه ينفي , وبهذا يكون سئل عن حقيقة النفي الذي ينفيه وهو من الحقائق , فإن أجاب بأنه لا يعلم بأنه ينفي , فقد بطل نفيه

---

(١) المصدر السابق ونفس الموضع .

(٢) النسفي " أبو البركات المتوفي عام ٧١٠هـ" : شرح العمدة في عقيدة أهل السنَة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد , ص ١٠٩, و وافقهم في هذا الأمر الإمام الجويني " إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف المتوفي سنة ٤٧٨هـ " في البرهان ,حققه : د. عبد العظيم الديب , ج ١ ص ١١٣- ١١٥ , طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمدان آل ثاني أمير دولة قطر, ط ١ عام ١٣٩٩هـ , ونجد مثل هذا الأمر عند المعتزلة , فقد حكى القاضي عبد الجبار عن الكعبي أنه قال : " ومن الغلط مناظرتهم والرد عليهم " راجع : القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل , تحقيق : د. إبراهيم مدكور , إشراف د. طه حسين , ج ١٢ , ص , ٤١ , بدون ذكر دار النشر ودون تاريخ.

(٣) النسفي " أبو البركات المتوفي عام ٧١٠هـ" : شرح العمدة في عقيدة أهل السنَة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد , ص ١٠٩.

(٤) الإمام أبو إسحق الصفار : تلخيص الأدلة , ص٧٥.

؛ لأن في هذه الحالة , النفي بالنسبة له غير موجود , وإن أجاب بنعم , فقد أثبت حقيقة من الحقائق وهي نفيه , فيتناقض مع ما ذهب إليه وهو إنكاره بأن هناك حقيقة ما فيبطل قوله , وهو في هذه الحالة معاندًا , متعنتًا , يقول الإمام : " يقال له تعلم بأنك تنفي فإن قال لا بطل نفيه وإن قال نعم أثبت نفيه " [١] , وقريب من هذا وبشيء من التفصيل ما ذكره الإمام أبو المعين النسفي فنجده يقول لإبطال ما ذهبوا إليه من إنكارهم للحقائق : " بإنكارهم العلوم والحقائق مقرون أن لا حقيقة لقولهم ومذهبهم , وأنهم لا يعلمون صحة مذهبهم , وبطلان قول خصومهم , ومن أقر ببطلان مذهبه , كفى خصمه مؤنة مجادلته , وكذا بقاؤه إلى هذه المدة دليل أنه يعرف الحقائق إذ لو لم يكن عالمًا بأسباب البقاء فاجتلبها , وبأسباب الهلاك فاجتنبها لما تصور بقاؤه , بأوهى مدة , فإن من يتناول الأغذية , ولم يلبس الثياب الدافعة لمضرة (الحر والبرد) , لم يتحرز عن اقتحام النيران المضطرمة , وإسقاط نفسه في الأمكنة المرتفعة ومقاربة الأفاعي الناهشة والعقارب اللاذعة لتلف من ساعته , فدل بقاؤهم إلى هذه المدة على علمهم بحقائق الأشياء " [٢] ويتبع هذا الدليل بدليل آخر بقوله : " وكذا قولهم : لا حقيقة للأشياء تحقيقًا منهم لنفي الحقائق , فكانوا مبطلين مقالتهم (بنفس مقالتهم)" [٣] ,أي أنهم بمقولتهم هذه يعترفون بوجود أشياء , وأن لهذه الأشياء حقائق فيتناقضوا مع ما ذهبوا إليه فيبطل قولهم , وهذا الدليل نجده أيضًا عند الإمام ابو البركات النسفي إذ يقول ردًا على هذه الطائفة : " ولنا في نفيها ثبوتها , إذ قولهم : لا حقيقة للأشياء تحقيق منهم لنفي الحقائق , و إلا لا يقع , فكانوا مبطلين قولهم بقولهم " [٤].

فالأفضل عند الإمام عدم مناظرة هؤلاء كما وصى وذلك ؛ لأنهم معاندين متعنتين لهذا خاطبهم بعبارات شديدة اللهجة لعلهم يرتدعون , فنجده يقول : " يؤلم بالألم الشديد من قطع الجوارح ليدع تعنته إذ نحن نعلم أنه يعلم العيان إذ هو علم الضرورة ولكنه بقوله متعنتًا وحق مثله ما ذكرت ليجزع ويضجر

(١) المصدر السابق , الموضع نفسه.
(٢) النسفي : أبو المعين : تبصرة الأدلة , ص ١٣٩.
(٣) المصدر السابق , ص ١٣٩.
(٤) النسفي " عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفي المتوفى سنة٧٠١هـ " : شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد , ص ١٠٨.

فيقابل بتعنت مثله "[١] ,والإمام الماتريدي متبعًا في هذا الأمر شيخه الإمام أبو حنيفة , فقد روي عنه – رضي الله عنه – نحو ذلك " روي أنه أتى بواحد منهم – أي السفسطائيين – في مجلس الخليفة , فجعل أبو حنيفة يحاجه ويلزمه وهو ينكر , فأمر أبو حنيفة بضربه , فجعلوا يضربونه وهو يصرخ , فقال له أبو حنيفة : لم تصرخ , ولعلك لست أنت , وإنما أنت غيرك , والضرب على غيرك وتخايل عندك أن الضرب عليك " [٢] وعل نفس الخط سار الإمام أبو المعين النسفي حيث قال : " ينبغي أن يعاقبوا بقطع الجوارح , والضرب المبرح , ومنع الطعام والشراب فإذا استغاثوا أو ضجروا وطلبوا الطعام والشراب قيل لهم : لا حقيقة للقطع والضرب والجوع والعطش , إنما كله حسبان وظن منكم وهو في الحقيقة إيصال الراحة إليكم , وإنعام عليكم , إلى أن يتركوا العناد , ويقروا بالحقائق " [٣] , نلاحظ من النص السابق اتباع الإمام النسفي الإمام الماتريدي اتباعًا تامًا في هذا الأمر لكن بشيء من التفصيل , أيضًا نجد الإمام الصابوني سار في نفس الدرب حيث قال : " ولا مناظرة مع هؤلاء الا بالضرب المؤلم والإحراق بالنار ليضطروا إلى الإقرار " [٤] , ويجب أن ينبه على أن قولهم بالضرب والقطع ليس على سبيل الحقيقة , وليس دعوة إلى تطبيقه وإنما هو ليس إلا أسلوب شديد اللهجة لعلهم يرجعون , وبهذا فالأفضل نعمل بوصية أئمة المدرسة الماتريدية بالإعراض عنهم ,إذا لم يرجعوا عما يقولون فالله تعالى أمر رسوله الكريم , محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يعرض عن الجاهلين , قال تعالى :﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩], وهؤلاء شديدي الجهل وامر الله – تعالى– محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يجادل بالتي هي أحسن قال تعالى :﴿...وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ... ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥], وقد أمرنا الله –

---

(١) الماتريدي : التوحيد ص ٨.
(٢) أبو إسحق الصفار : تلخيص الأدلة , ج ١ , ص ٧٥ .
(٣) النسفي : أبو المعين : تبصرة الأدلة , ص..١٣٨
(٤) الصابوني " نور الدين الصابوني " : البداية من الكفاية في أصول الدين , ص ٣١ , ونجد مثل هذا الأمر عند المعتزلة , فقد حكى القاضي عبد الجبار عن الكعبي قوله : " ولا يجوز , فيمن هذا حاله , إلا التأديب " , راجع : القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل , ج ١٢ , ص ٤١.

تعالى- باتباعه - صلى الله عليه وسلم - قال - تعالى- :﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ... ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

المطلب الثاني
موقف المدرسة الماتريدية ممن ينكرون العلم بحقائق الأشياء

اعتبر الإمام الماتريدي من ينكر حقائق الأشياء هم نفس من ينكر العلم بالأشياء , وهم نفس من ينكر وسائل المعرفة ؛ لأن في نظره وعلى ما يرى أن من أنكر الوسيلة التي يتوصل بها إلى الأشياء فلا يعلم شيء , إذ كيف يتوصل إلى معرفة شيء بدون وسيلة لذلك الشيء , ومن أنكر هذا وذاك فقد أنكر وجود حقيقة من الأساس , يتضح ذلك من خلال قوله : " فالعيان ما يقع عليه الحواس وهو الأصل الذي لديه العلم الذي لا ضد له من الجهل فمن قال بضده من الجهل فهو الذي يسمى منكره كل سامع مكابرًا" (١), وبهذا فهو أحط قدرًا من البهائم على ما يرى الإمام الماتريدي , ويأخذ نفس حكم الفريق الأول , وإذا نظرنا للإمام أبي المعين النسفي نجد الأمر أكثر تفصيلًا في الحديث عن من ينكر العلم بحقائق الأشياء , وقد أطلق عليهم المتشككة , يقول الإمام أبو المعين : "وطائفة من هؤلاء المتجاهلة , لا يثبتون القول بنفي الحقائق , بل يقولون لا ندري هل للأشياء حقيقة أم لا ؟ وهم المتشككة " (٢) وبين الإمام النسفي أنهم أرجعوا سبب عدم درايتهم لعدم صلاحية الحواس للمعرفة حيث قال : " متشبسين بأن أقوى أسباب العلم عندهم الحواس , وهي لا تصلح سببًا له للتناقض في قضاياها .... وما تناقضت قضاياه لا يصلح أن يكون دليلًا مثبتًا" (٣) , ورأى أن أسلم وسيلة في الرد على هؤلاء هو سؤالهم عن درايتهم بعدم درايتهم ونرى بماذا يجيبون , فإن قالوا نعم , فقد ناقضوا مذهبهم , وإن قالوا لا ندري يسأل عن عدم درايتهم وهكذا إلا مالا نهاية ,وهذا يبطل مذهبهم ؛ لأنهم لا يعلمون مذهبهم الذي هو عدم الدراية , يقول الإمام النسفي : " ويقال لهم :هل تدرون أنكم لا تدرون ؟ فإن قالوا : نعم فقد أقروا أنهم يدرون وهو نقض مذهبهم , وإن قالوا : لا ندري أنا لا ندري سئلوا عن

(١) الماتريدي : التوحيد , ص ٨ .
(٢) النسفي " أبو المعين " : تبصرة الأدلة , ص ١٤٠ .
(٣) المصدر السابق , ص ١٤١ .

نفي الدراية عن درايتهم , ثم عن الثالث والرابع إلى ملا يتناهى , ثم هذا يبطل قولهم حيث أقروا أنهم لا يدرون مذهبهم " [١] , ورأى أن ردع هؤلاء عن قولهم هذا هو قطع جوارحهم , فبضجرهم عند القطع يعلمون أنهم يدرون , وبهذا نرى أنه عاقبهم بنفس عقاب الطائفة الأولى التي تنكر حقائق الأشياء على ما مر , يقول الإمام النسفي : " ثم يُعلمون بما بينا من قطع الجوارح وغيرها ليظهر عند ضجرهم أنهم يدرون "[٢] , و عدهم الإمام أبو إسحق الصفار فرقة من فرق السفسطائية حيث قال : " وفرقة منهم زعمت أن العلوم والأشياء حقائق , ولكنهم قالوا : نحن لا نعلمها فنتوقف "[٣] , ورد عليهم قائلًا : " فيقال لهم : "هل تتوقفون في وجود أنفسكم ؟ فإن قالوا : لا فقد ناقضوا أصلهم , وإن قالوا: نعم , فقد لحقوا بالفرقة الأولى ؛ لأن في التوقف امتناعًا من الإثبات " [٤] وسار على نفس النهج الإمام نور الدين الصابوني , فتحدث عنهم كطائفة من السفسطائية فذكرهم بعد عن تحدث عن الطائفة التي تنكر حقائق الأشياء من السفسطائية , حيث قال : " وأنكر بعضهم العلم بحقائق الأشياء, ولا مناظرة مع هؤلاء إلا بالضرب المؤلم والإحراق بالنار ليضطروا إلى الإقرار "[٥], وتم التنبيه على أنهم لم يقصدوا الضرب والقطع على سبيل الحقيقة وإنما هو نوع من الأسلوب شديد اللهجة مع هؤلاء علهم يرتدعون عما يقولون يدل على ذلك أن انهم وصوا بعدم مناظرة هؤلاء وقد مر الحديث عن ذلك .

مما سبق فقد تبين الرد الكافي الشافي من المدرسة الماتريدية على من ينكرون حقائق الأشياء أو العلم بها واكتفائهم بقولهم لا أدري , هذا وقد قام أتباع الإمام بإكمال البناء الذي وضع لبنته حتى صار صرحًا شامخًا كعادة بنايتهم التي عَرفت واشتهرت بها هذه المدرسة الماتريدية العريقة , صالحًا لكل زمان , نستطيع أن نرد به على موجة الشك هذه إذا عادت للظهور مرة أخرى ؛ لأنه وللأسف الشديد فإن هذا النوع موجود على مر العصور, أحيانًا

(١) المصدر السابق , ص ١٤٠ .
(٢) المصدر السابق , الموضع نفسه .
(٣) أبو إسحق الصفار : تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد , ج١ , ص ٧٩ .
(٤) المصدر السابق , الموضع نفسه .
(٥) الصابوني: البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين , ص ٣١.

يكون في حالة كمون وأحيانًا يعود للظهور بين الحين والآخر سواء كان نتيجة لعمى البصيرة وضعف الإيمان أو كان لهدف إثارة الشكوك والظنون بين المجتمعات, وهذا ما رأيناه بالفعل في العصر الحديث , فقد تبنى المذهب السفسطائي مجموعة من المفكرين نحوا منحاهم في رفض الحقائق وإنكارها أمثال "مونتاني" [١] الذي قال أن الإنسان لا يعلم شيئًا لأن الإنسان نفسه ليس شيئًا , أيضًا نجد "هيوم" [٢] الذي عُرف بالفيلسوف الشاك الذي كان يمتدح قدماء الشكاك ويثني على اتجاهاتهم [٣], وبهذا نستطيع أن نرد بمنهج المدرسة الماتريدية في موقفهم من الشكاك على موجة الإلحاد القائم على منهج اللاأدرية , وذلك ؛ لأن موقف اللاأدرية المائع من الأشياء بأنها موجودة أم لا وعدم قدرتها في الحكم بوجود حقائق وردودها التي تُبنى على الاحتمال دائمًا وعدم القطعية في وجود أي حقيقة جعلهم يشكون في وجود إله وفي وجود دين ؛ لأن الإله والدين من الحقائق وهم يشكون في كل الحقائق , ولهذا فكل من اتبع هذه الطائفة وانتهج منهجها في عدم الحكم بالجزم على أي شيء بأنه موجود , يشك في وجود أي دين من الأديان ويشك في وجود إله , ولهذا فمنذ نشأة هذا الطائفة واستمرارها في الوجود حتى هذه اللحظة تكون هناك فئة من الناس لا تستطيع الجزم بوجود إله وهو ما يُعرف بالإلحاد اللاأدري ,وقد رأينا

---

(١) ولد في قصر " دي مونتانيي" في "البيريغور" عام ١٥٣٣م , كان جده مصدرًا غنيًا للخمور والأسماك المملحة ؛ لذلك لقب بلقب "مونتاني النبيل" , شارك أبوه في حروب إيطاليا , وضع مونتاني لدى مرضعة قروية , و في الثانية من عمره عهد به إلى مؤدب ألماني رباه على للاتينية , ثم تعلم بعد ذلك الفرنسية , وفي سن السادسة أدخل في معهد "غويين" المشهور , وتابع دروس الفلسفة في كلية الفنون , ودرس الحقوق في "تولوز" , وعين مستشارًا في محكمة "بوردر" العليا , و من أشهر مؤلفاته : كتاب " المقالات "الذي بدأ بتأليفه عام ١٥٧٢م و خصص الجزء الأول منه للشئون العسكرية والسياسية , وعندما قرأ عام ١٥٧٥ التعاليم البيرونية للشاك اليوناني " "سكستوس امبيريقوس" سلك ميدلية خاصة به ونقش عليها الشعار البيروني ثم قام بتأليف الجزء الثاني من الكتاب , وتوفي في ١٣ ابريل عام ١٥٩٢م , راجع : جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة , ص ٦٥٠ بتصرف.

(٢) فيلسوف ومؤرخ وعالم اقتصاد ولد عام ١٧١١م ينسب لأسرة متوسطة الحال , والدته ابنة السير " ديفيد فالكونر " الذي كان رئيسًا للقضاه في اسكتلندة , دخل جامعة أدنبرة في عامه الثاني عشر وتركها في عامه الخامس عشر , كان مهتمًا بالقراءة في الفلسفة , وتوجه إلى العمل بالتجارة ولكنه لم يجد نفسه فيها فذهب إلى فرنسا وهناك التحق بالمعهد اليسوعي الشهير الذي أسسه هنري الرابع والذي درس فيه " ديكارت ", وما بين الثالثة والعشرين والسادسة والعشرين من عمره ألف رسالة في الطبيعة البشرية , وتوفي في عام ١٧٧٦م , راجع : جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة , ص ٧٢٦ بتصرف.

(٣) توفيق الطويل: أسس الفلسفة , ص٢٣٦ بتصرف.

أن رد رواد المدرسة الماتريدية على هذه الطائفة شمل الرد على هذا النوع من الإلحاد وذلك ؛ لأنهم ردوا على اللاأدرية ككل التي لا تستطيع الجزم بوجود الحقائق والتي منها بالضرورة الدين والإله , والآن وفي عجالة يتم إعطاء نبذة عن هذا النوع من الإلحاد لنرى كيف كان رد هؤلاء الرواد شامل لأتباعه.

الإلحاد اللاأدري

سُمي هذا النوع من الإلحاد بهذا الاسم ؛ لأن صاحبه لا يستطيع أن ينفي أو يؤكد وجود الله , فإذا سئل الله موجود أم لا لا يستطيع أن يجيب , وإذا حاول أن يجد إجابة مقنعة لهذا السؤال ,تراكمت من حوله الأسئلة الغامضة التي تغرقه في لجة من الحيرة والشك , وبهذا فمن الممكن تعريف الإلحاد اللاأدري بأنه : المتردد الذي لا يجزم بوجود الله , ولا يجزم بعدم وجوده , ويرى أن الأدلة تتكافأ في هذه القضية , فالعقل والخبرة البشرية لا يمكنها الوصول إلى حسم هذه القضية , فيقف أصحاب هذا الإتجاه عاجزين عن إقامة الأدلة على وجود الله , وفي الوقت نفسه عاجزين عن إقامة الأدلة على نفيه , ومن أشهر فلاسفة هذا الإتجاه "دايفيد هيوم ", و"داروين" (١) , و "براندرسل " (٢) (٣) ,

---

(١) حفيد "أراسم دروين ", عالم طبيعي وضع نظرية في تطور الأحياء أدت به إلى نظرية فلسفية في الطبيعة , كان عالمًا في الطبيعة , حاول أن يدرس الطب لكنه لم يروق له , وأراد دراسة اللاهوت ولكنه انصرف عنه , اشترك في رحلات علمية حول الأرض طالت خمس سنوات ما بين (١٨٣١- ١٨٣٦م) , جمع خلالها ملاحظات كانت هي الأساس الأول لنظريته , قضى زهاء ربع قرن يستكمل ملاحظاته وتجاربه حتى أخرج النظرية , وقضى زهاء ربع قرن آخر يدعمها ويجادل عنها ويعالج في ضوئها ما يعرض له من مسائل , أخرج نظرية التطور في كتابه " أصل الأنواع " , ثم أيدها بكتاب بعنوان " تغير الحيوان والنبات في حال الدجن " , ثم طبقها على الإنسان في كتابه : "تسلسل الإنسان والانتخاب الطبيعي ", وعالج على مقتضاها مسائل نفسية في كتابه : " التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان , راجع : يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة , ص ٣٥١ بتصرف يسير , دار المعارف ,دون تاريخ .

(٢) استاذ الفلسفة بجامعة كمبردج (١٩١٠-١٩١٦م), أحد أعلام المنطق الرياضي في العصر الحديث , قام بتأليف العديد من الكتب , منها :" فلسفة ليبتنز" , و"مبادئ الرياضيات ", و"مبادئ الرياضة " , و"مسائل الفلسفة" , و "معرفتنا بالعالم الخارجي" , و"المدخل إلى الفلسفة الرياضية " , و "تحليل الفكرة ", و" تحليل المادة ", و"موجز الفلسفة ", و"تحليل الفلسفة الغربية" , و كتب أخرى في الفلسفة والسياسة والتربية , راجع : يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة , ص ٤٣١ بتصرف .

(٣) عبد الرحمن عبد الخالق : الإلحاد , أسباب هذه الظاهرة وظروف علاجها , ص٧ بتصرف , وندى حمزة عبده : مفهوم الإلحاد واتجاهاته المعاصرة , ص ٦٨ , و وضيحة بنت سردي

وبهذا فاللاأدرية توجه يرى أن العقل البشري ليس بإمكانه أن يمدنا بأدلة عقلانية كافية لتبرير الاعتقاد بأن الله موجود أو الاعتقاد بأنه غير موجود بقدر يجعل الإنسان مطمئنًا بأن اعتقاداته مدعومة من قبل العقل البشري ؛ لذلك تُعرض اللاأدرية عن تبرير أي إنتماء ديني , وبهذا فاللاأدرية تُعد موقفًا إلحاديًا [١] ,أيضًا ؛ لأنها عبارة عن توجه فلسفي شكي يعتبر أن القيمة الحقيقية للقضايا الدينية أو الغيبية غير محددة مثل قضايا " وجود الله " , و" الآخرة ", وغيرها من الأمور الغيبية [٢] , وبهذا فموقف اللاأدرية بعدم إعطاء إجابة عن قضية الخالق والخلق يدرجهم تحت الإلحاد [٣] , خلاصة القول أن مصطلح " لا أدري " أصبح من ضمن استخداماته في هذه الأيام هو الإشارة إلى أولئك الذين يتبعون التوصية التي تنص عليها حُجة "هكسلي" [٤] وهي : "أن اللاأدري هو الشخص الذي لديه اهتمام بفرضية أن هُناك إله , غير أنه لا يعتقد بصحتها ولا بطلانها "[٥], وهذا ما أكد عليه "أنتوني كيني [٦] حيث قال : من جهتي لا أعرف أي حُجة لصالح وجود الله يمكنني أن أعتبرها مُقنعة , أعتقد أنه بإمكاني أن أجد في جميعها عيوب , وبشكل مساو , فأنا لا أعرف

الثمري : ظاهرة الإلحاد , دوافعها وآثارها وطرق علاجها , ص ٥١٩ بتصرف , مجلة الدراسات العربية , كلية دار العلوم , جامعة المنيا دون تاريخ.

(١) د. غيضان السيد علي : الإلحاد ومشكلة الشر , ص ٣١-٣٢ , مجلة متون , جامعة سعيدة , مولاي الطاهر , المجلد ١٤ , العدد ٤٠ دون تاريخ .

(٢) نبيل علي صالح : ظاهرة الإلحاد , ص ٢١٥ بتصرف , الاستغراب عام ٢٠١٧م .

(٣) علي حمزة زكريا : أنواع الإلحاد , ص ٢٩-٣٠ بتصرف , شبكة الفكر عام ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م .

(٤) عالم أحياء وفيلسوف انجليزي , ولد في "لندن" عام ١٨٨٧م هو الأخ الأكبر للروائي : "هكسلي ", درس في "ايتون" و"أكسفورد" , ودرس علم الأحياء وعلم الحيوان وعلم وظائف الأعضاء في الجامعات البريطانية والأميركية تولى الإشراف على حديقة الحيوان بلندن , وقام بعدد من البعثات التعليمية , وعين مديرًا عامًا لليونيسكو بين عام ١٩٤٦ و١٩٤٨ , ورقي إلى مرتبة سير عام ١٩٥٨م , كتب علم الحياة ومباحث عديدة في البيولوجيا , ومن مؤلفاته أيضًا مسائل النمو النسبي , التطور , التركيب الحديث , ومحاورات لرجل إنساني المذهب , وتوفي في عام١٩٧٥م, راجع : جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة , ص ٧٠٥ بتصرف .

(٥) موسوعة الإلحاد واللاأدرية , ترجمة : عبدالله الحميدي , ص ٨ , حكمة عام ٢٠٢٠م .

(٦) السير " أنتوني جون باتريك كيني ,ولد في ١٦ مارس عام ١٩٣١ , فيلسوف بريطاني , اهتم بالفلسفة القديمة وفلسفة العقل والفلسفة المدرسية وفلسفة الدين , قدم مساهمة كبيرة في التوماوية التحليلية – هي حركة تهدف إلى تقديم فكر القديس "توما الإكويني " بأسلوب الفلسفة التحليلية – , وهو رئيس سابق للأكاديمية البريطانية والمعهد الملكي للفلسفة , راجع :
Kenny,Anthony,1983,Faith and Reason(Bamptyon lectures in America,no.22),New York: Columbia University Press.

أية حجة ضد وجود الله يمكن أن تكون مقنعة بشكل كامل , وحتى في الحجج التي أعرفها ضد وجود الله يمكنني أن أجد عيوبًا أيضًا ؛ لذلك فإن موقفي الخاص من وجود الله هو موقف لا أدري [(١)].

وبهذا فقد تم الرد على أشهر مذاهب الشك – السفسطائية و اللا أدرية – من المدرسة الماتريدية , , أما العندية الذين عدهم البعض ضمن فرق السفسطائية وقد مر الحديث عنهم في أثناء الحديث عن بروتاغوراس الذي كان يرى أن ما يراه الإنسان حق فهو حق بالنسبة له , أيضًا عدهم الأمام أبو إسحق الصفار من السفسطائية , حيث قال وهو يتحدث عن الفرق التي تفرعت عن السوفسطائية : " وفرقة منهم زعمت أن للأشياء والعلوم حقائق , ولكن من اعتقد شيئًا فمعتقده على ما اعتقد "[(٢)] , وقام بالرد عليهم بقوله : " فيلزم هؤلاء أن يكون العالم قديمًا محدثًا ؛ لأن قومًا قالوا إنه قديم , وقال قوم إنه محدث , ويلزمهم أن يكون قولهم باطلًا ؛ لأنا نعتقده باطلًا "[(٣)].

---

(١) موسوعة الإلحاد واللاأدرية , ترجمة : عبدالله الحميدي , ص ٩ .
(٢) أبو إسحق الصفار :تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد , ج١ , ص ٨٠ .
(٣) المصدر السابق , الموضع نفسه .

المبحث الرابع
حقائق الأشياء ثابتة عند المدرسة الماتريدية

بعد أن فرغ رواد المدرسة الماتريدية من الرد على منكري المعرفة ووسائلها , شرعوا في بيان أسباب العلوم والمعارف للتأكيد على وجود الحقائق , وأنها ثابتة ووجود الوسائل التي تعين على الوصول إليها , لذلك كان لزامًا بعد عرض موقف المدرسة الماتريدية من الشكاك , أن يكون من تتمة الحديث الوقوف على أسباب العلوم والمعارف عند هذه المدرسة لنتعرف على كيف أثبتت هذه المدرسة وجود الحقائق وما هي الوسائل التي استعانوا بها في إثباتهم لها , وإن كان هذا الأمر قد اتضح من خلال الحديث عن موقف المدرسة من الشكاك خاصة المطلب الثالث الذي عني ببيان موقف المدرسة ممن ينكرون وسائل المعرفة , وكان هذا المبحث تتمة للحديث كما ذكر , وذلك لنقف على الأهمية التي دعتها لتقف هذا الموقف من الشكاك , وليظهر التأثير والتأثر بين إمام المدرسة وروادها الذين جاءوا من بعده , وفيما يلي عرض لوسائل المعرفة أو أسباب العلوم والمعارف كما يطلق عليها أئمة المدرسة الماتريدية .

أولًا : الحواس من أسباب العلوم والمعارف عند المدرسة الماتريدية :

وسائل المعرفة عند الإمام الماتريدي ثلاث هي العيان والأخبار والنظر يقول الإمام الماتريدي متحدثًا عن السبل الموصلة للعلم : " ثم السبيل التي يوصل إلى العلم بحقائق الأشياء العيان والأخبار والنظر " , و قال متحدثًا عن العيان : " فالعيان ما يقع عليه الحواس وهو الأصل الذي لديه العلم الذي لا ضد له من الجهل " (١), وقد ذكر الإمام أبو المعين النسفي الحواس بشكل مفصل , فقد ذكر الحواس في معرض حديثه عن أسباب العلم وعدها من أول أسباب العلم حيث قال : " أما الحواس فهي : السمع , والبصر , والشم , والذوق , واللمس , وكل حاسة منها توقف على ما وضعت هي له "(٢) , وعلى نفس النهج سار الإمام نور الدين الصابوني حيث عد أسباب العلوم والمعارف

---

(١) الماتريدي : التوحيد , ص ٨.
(٢) النسفي " أبو المعين " : التمهيد لقواعد التوحيد , ص ١٢٠

ثلاث وذكر أولها الحواس , فقال متحدثًا عن أسباب العلم , دقيقًا في وصفه لها : " وأسبابه ثلاثة : الحواس السليمة والخبر الصادق ونظر العقل "[١] , نلاحظ تقيده للحواس بالسليمة تحرزا عن التي بها آفة ما وقيد الخبر بالصادق تحرزا عن الأخبار الكاذبة ؛ لأنها لا يتوصل بها إلى علم دقيق ومعارف صادقة , وقيد النظر بالعقل ؛ لأنه أداته , وقال بشأن الحواس : " أما الحواس فخمس : السمع والبصر والشم والذوق واللمس , ويعلم بكل حاسة ما يختص بها إذا استعملت فيه " [٢].

ثانيًا : الخبر من أسباب العلوم والمعارف في المدرسة الماتريدية

ذكر الإمام الماتريدي أن الخبر نوعان هما

الأول : الخبر على سبيل الإجمال وهو كل ما يعلم به عن طريق الخبر , فيشمل اسم كل شيء واسم جوهره ومائيته أي أصله.

الثاني : خبر يجب العمل به وهو الخبر الذي يكون عن طريق نبي الرحمة – صلى الله عليه وسلم – [٣] , وتحدث الإمام أبو المعين النسفي عن الطريق الثاني من طرق العلم بعد الحواس وهو الخبر الصادق حيث قال : "والخبر الصادق على نوعين " : أحدهما : الخبر المتواتر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب عادة , وهو موجب للعلم الضروري ...والثاني :خبر الرسول المؤيد بالمعجزة , وهو موجب للعلم الاستدلالي , والعلم الثابت به يضاهي العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات "[٤] , وبشيء من التفصيل تحدث الإمام نور الدين الصابوني عن الطريق الثاني للعلم وهو الخبر الصادق كما ذكر فقال مبينًا للخبر الصادق بقوله : " .وأما الخبر الصادق فنوعان : أحدهما الخبر المتواتر , وهو ما يسمع من أشخاص مختلفة في أحوال مختلفة , بحيث لا يتوهم أنهم توافقوا على الكذب , وهو سبب للعلم الضروري , كالعلم بالملوك الماضية والبلدان

(١) الصابوني " نور الدين الصابوني " : البداية من الكفاية في الهداية في أصول الـــدين , ص ٣٠.
(٢) المصدر السابق , الموضع نفسه .
(٣) الماتريدي : التوحيد , ص ١٠ بتصرف.
(٤) النسفي " أبو المعين " : التمهيد لقواعد التوحيد , ص ١٢١

القاصية , والثاني : الخبر المؤيد بالمعجزة من الأنبياء – عليهم السلام – , وهو سبب للعلم القطعي , ولكن بواسطة الاستدلال " [١].

ثالثًا : النظر من أسباب العلوم والمعارف في المدرسة الماتريدية

بنى الإمام الماتريدي النظر على عدد من الوجوه أو الأسس هي :

١- الاضطرار إليه في علم الحس فيما يبعد عن الحواس أو يلتبس عليها وفي الخبر فيما يحتمل الغلط , فيحتاج للنظر في مثل هذه الأحوال للترجيح بينها, يقول الإمام الماتريدي : " ثم الأصل في لزوم القول بعلم النظر وجوه أحدهما الاضطرار إليه في علم الحس والخبر وذلك فيما يبعد عن الحواس أو يلطف وفيما يرد من الخبر أنه في نوع ما يحتمل الغلط "[٢]

٢- التأمل فيما جاء به الرسل – عليهم السلام– من الآيات وأحوالهم والتمييز بين ما جاءوا به من الحق وبين ادعاءات وكذب غيرهم , يقول الإمام الماتريدي : " ... ثم آيات الرسل وتمويهات السحرة وغيرهم في التمييز بينها وفي تعرف الآيات بما يتأمل فيها من قوى البشر وأحوال الآتي بها ". [٣] ,وقد ذكر الإمام أبو المعين النسفي الطريق الثالث والأخير من طرق العلم , فتحدث عنه قائلًا : "والثالث العقل "[٤] ,ذكره ؛لأنه أداة النظروقام بتقسيمه إلى ضروري وكسبي , فالضروري عنده يثبت بالبديهة , والكسبي ما يثبت بالاستدلال [٥] , ونفس التقسيم للنظر العقلي نجده عند الإمام نور الدين الصابوني , حيث قال : " وأما نظر العقل فهو سبب للعلم أيضًا , والحاصل منه نوعان : ضروري ويسمى بديهة , وهو ما يحصل بأول النظر من غير تأمل وتفكر كالعلم بأن كل شيء أعظم من جزئه , واستدلالي : وهو ما يحتاج فيه إلى تأمل وتفكر كالعلم بوجود النار عند رؤية الدخان "[٦] .

---

(١) الصابوني " نور الدين الصابوني " : البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين , ص ٣٠.

(٢) الماتريدي : التوحيد , ص ١٠.

(٣) المصدر السابق , الموضع نفسه.

(٤) النسفي " أبو المعين " تبصرة الأدلة في أصول الدين , ص ١٤٢.

(٥) النسفي " أبو المعين " : التمهيد لقواعد التوحيد , ص ١٢١ بتصرف.

(٦) الصابوني " نور الدين الصابوني " : البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين , ص ٣٠و٣١.

مما سبق يتبين تأكيد المدرسة الماتريدية على أن الحقائق ثابتة , والتأكيد على وجود وسائل صالحة نتوصل بها إلى هذه الحقائق متمثلة في الحس والعقل والخبر وما يبنى عليهم من النظر وبعد الحديث عن أسباب العلوم والمعارف عند المدرسة الماتريدية , يتبادر سؤال إلى الذهن , وهو : ما موقف المدرسة الماتريدية من المعرفة الإلهامية ؟ , بمعنى أنهم هل عدوا الإلهام وسيلة من وسائل المعرفة ؟ , سيتم محاولة الإجابة عن هذا السؤال في السطور التالية .

موقف المدرسة الماتريدية من المعرفة الإلهامية :

لم تنكر المدرسة الماتريدية المعرفة الإلهامية على الإطلاق وإنما أنكرت المعرفة الإلهامية في معرض المناظرات خاصة إذا كان يتوقف عليها صحة الأديان, فصحة الأديان لا تتوقف على المعرفة الإلهامية عندهم , ويمكننا تلمس ذلك من خلال قول الإمام أبو المعين النسفي في رده على من جعل الإلهام سببًا لصحة الأديان ؛ حيث قال : " وقال قوم بأن الإلهام سبب معرفة صحة الأديان والمذاهب , وهذا أيضًا مثل الأول – أراد بذلك رده على من جعل ما وقع في القلب حسنه سبب في صحة الأديان – ؛ لأن كلا يدعي أنه ألهم صحة قول نفسه , وفساد مذهب خصمه , فيؤدي إلى القول بصحة الأديان المتناقضة على ما قررنا , وإلى القول بأن كل دين صحيح فاسد , ويقال لهؤلاء , اني الهمت أن القول بأن الإلهام آلة معرفة صحة الأديان فاسد , أصحيح إلهامي هذا أم فاسد ؟ فإن قال : هو صحيح, فقد أقر بكون شيء من الإلهام فاسد , وإذا كان الإلهام بعضه صحيحًا , وبعضه فاسداً لم يمكن الحكم بصحة كل الإلهام على الإطلاق , ما لم يقم دليل صحته فصار المرجح إلى الدليل دون الإلهام "(١) , وذكر الإمام أبو البركات النسفي أن الإلهام لا يجوز أن يكون سببًا للمعرفة لأنه يعارض بمثله , حيث قال : " والإلهام ليس سببًا للمعرفة ؛ لأنه يُعارض بمثله , فإنه إذا قال : إني أُلهمت بأن ما أقوله حق , فخصمه يعارضه ويقول : إني أُلهمتُ بأن ما تقوله باطل , فإذا قال لخصمه : إنك لست من

---

(١) النسفي " أبو المعين " , تبصرة الأدلة , ج ١ , ص ١٥٠و ١٥١ .

أهله , فيقابله بمثله " [١] , وبهذا لم تخرج المعرفة الإلهامية من أن تكون من أسباب العلوم والمعارف عند المدرسة الماتريدية , وإنما اقتصرت على ما يعرف به صحة الأديان كما رأينا عند الإمام أبو المعين النسفي أو على هذا وغيره كما رأينا عند أبي البركات النسفي , وينبغي أن ينبه على أنهم قصدوا بذلك المعرفة الإلهامية التي يدعيها بعض الأشخاص والتي ربما قد تكون قائمة على الكذب وقصد بها الإضلال وليس مطلق الإلهام ؛ لأن وكما هو معروف أن الإلهام نوع من الوحي الإلهي للرسل – عليهم السلام– والدليل على ذلك أن الخبر الصادق من أسباب العلوم والمعارف عند المدرسة الماتريدية والخبر الصادق قائم على هذا النوع من المعرفة قال تعالى :﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم: ٣-٤], وقد قال الإمام الماتريدي في تفسير هذه الآية : " أي ما ينطق عما يهوي به نفسه ؛ بل إنما ينطق عن الوحي " [٢] و الإلهام أحد أنواع الوحي الإلهي قال تعالى :﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ ... ٧﴾ [القصص: ٧], وقال في تفسير هذه الآية : قال عامة أهل التأويل : " إن الوحي هاهنا وحي الإلهام والقذف في القلب " [٣] , وبعد هذا العرض لردود المدرسة الماتريدية على الشكاك, فقد يتبادر إلى الأذهان سؤال هو : لماذا ظهر هذا النوع من الردود وهو الرد على الشكاك عند أغلب رواد المدرسة الماتريدية ؟, الإجابة عن هذا السؤال تتمثل في عدة أسباب أهمها :

١- البيئة التي عاش فيها الإمام الماتريدي وأتباعه كانت مجاورة للبلاد التي ظهر فيها الشك والسفسطة , فقد رأينا أن السفسطة لم تقتصر ظهورها على بلاد اليونان وإنما ظهرت في الفلسفات الشرقية , ولهذا فلابد أن يكون هناك رد فعل من مؤسس المدرسة التي ظهرت في هذه البيئة وأتباعه الذين أتو من بعده .

---

(١) النسفي " أبو البركات " , شرح العمدة في عقيدة أهل السُنة والجماعة , والمسمى بالاعتماد في الاعتقاد , دراسة وتحقيق : د. عبد الله إسماعيل , ص ١٢٦ , ط ١ – القاهرة , المكتبة الأزهرية للتراث , الجزيرة للنشر والتوزيع , عام ٢٠١١م .

(٢)الماتريدي: تأويلات أهل السنة , تحقيق : د. مجدي بسلوم , ج ٩ , ص ٤١٧, ط١ , دار الكتب العلمية , لبنان – بيروت عام ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

(٣) المصدر السابق , ج ٨ , ص ١٤٩.

٢- عُرف الإمام أبو حنيفة النعمان بمحاوراته ومناظراته مع المخالفين في الدين ومع من أرادوا إثارة الفتن والشكوك في البيئة الإسلامية في عصره , وكتب مناقب الإمام تشهد بهذا الأمر , ولهذا فمن البديهي أن يتبع التلميذ أستاذه الذي أثر فيما بعد في تلاميذه تباعًا.

٣- أرادت المدرسة الماتريدية إثبات العقائد الإيمانية من إثبات وجود الله تعالى و إثبات وحدانيته و إثبات حدوث العالم وأنه تعالى خالقه ومدبره , لهذا صدَّرت كتبها بعبارة : " حقائق الأشياء ثابتة " وكان لازمًا عليها أن ترد على المخالفين لهذه الحقائق أولًا سواء كانوا شكاك أو غيرهم قبل إثباتهم للحقائق الإيمانية وهو من باب التخلية قبل التحلية.

الخاتمة:

بعد هذا العرض الموجز لمذاهب الشك ورد المدرسة الماتريدية عليها , فإني قد توصلت للنتائج التالية :

١- الشك جنس في التعريف يندرج تحته أنواع , يصنف تحت كل نوع منها عدد من أصناف الشك .

٢- الشك المنهجي يُعد وسيلة لغاية مأمولة وهي اليقين , هذا بخلاف الشك المطلق الذي لا غاية له.

٣- أول من استخدم الشك المنهجي كان سيدنا إبراهيم عليه السلام , وكان استخدامه له لصورته وليس لحقيقته , حيث أنه تظاهر بالشك أمام قومه ؛ ليثبت وجود الله – تعالى – وحده لا شريك له , وأن الإله الحق المستحق للعبادة .

٤- استخدم الإمام الغزالي الشك المنهجي ولم يدخل الجانب العقدي في شكه , فقد كان يؤمن بالله وحده لا شريك له , وأنه – تعالى – قد أعلمنا بوجوده – تعالى – ووضع لنا في فطرتنا أنه الإله الحق ولكنه أراد أن يصل لحقائق الأشياء بنفسه فتجرد من كل المعارف التي أخذها عن طريق التقليد , واستثنى من ذلك الإيمان بالله – تعالى–.

٥- القديس "أوغسطين" كان من أشهر ممثلي الشك المنهجي في العصر الوسيط الذي عمل جاهدًا للرد على الشكاك , وأول كتاب صنفه كان بعنوان : ضد الأكاديميين , و من العجيب أنه استخدم طريقة تشبه طريقة الخليل إبراهيم –عليه السلام– في طرحه عدة أسئلة عليهم ليصل في النهاية إلى إثبات حقيقة من الحقائق وهي أنهم يشكون , وبهذا فيكون أثبت أن هناك حقائق منهم هم وهو ما يتناقض مع مذهبهم , وليس هذا فقط بل أنه جعل مصدر هذه الحقائق هي الله تعالى عن طريق المعرفة الإشراقية في النفس الإنسانية متأثرً في ذلك بالأفلاطونية المحدثة .

٦- بداية الشك المطلق أو الشك السوفسطائي إن جاز التعبير بذلك كان في اليونان على يد السفسطائيين ؛ فكانوا أول من ابتدعوه , وكان ذلك لغرض جمع المال.

٧- لم يقتصر ظهور السفسطة على بلاد اليونان فقط , بل ظهرت في بلاد الشرق في الفلسفة الصينية والهندية.

٨- ظهرت طائفة ووقفت موقف لا لون له أمام حقائق الأشياء بين الإثبات والنفي واستخدموا العبارات والألفاظ التي تدل على الاحتمالية وعدم الترجيح مثل عبارة :"لا أعلم ", و" لا أدري", لذلك سموا باللاأدرية .
٩- أدى وجود طائفة اللا أدرية إلى ظهور نوع من الإلحاد وهو الإلحاد اللاأدري حيث أن صاحبه لا يثبت وجود إله ولا ينفيه ويكتفي بقوله : لا أدري إذا وجه إليه شخص سؤال يتعلق بالدين أو وجود الله – تعالى –.
١٠- تُعد المدرسة الماتريدية من أوائل المدارس الكلامية في الرد على الشكاك , فقد تزامن معهم على الأقرب في الرد على الشكاك المدرسة الإعتزالية , فقد ذكر ذلك القاضي عبد الجبار حكاية عن أبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم , وفيما حكاه عن الكعبي , ومن المدرسة الأشعرية وجد ذلك عند كل من الإمام الجويني والإمام الرازي .
١١- شملت ردود المدرسة الماتريدية أصناف الشك التي تندرج تحت نوع الشك المطلق .
١٢- اتسمت ردود المدرسة الماتريدية بالحنكة والشمولية مما جعلها صالحة لكل زمان يظهر فيه هذا الجحود والإنكار في أي ثوب كان .
١٣- ترك لنا رواد المدرسة الماتريدية منهجًا محكمًا نستطيع أن ننتهجه في الرد على موجة الإلحاد اللا أدري التي ظهرت على الساحة العالمية الآن .
١٤- تمثلت فلسفة الشك عند المدرسة الماتريدية في العمل الدائب على إثبات حقائق الأشياء , والتأكيد على تنوع الوسائل التي تؤدي إليها.

وفي الختام أدعوا الله تعالى أن يهدينا إلى الصراط المستقيم , وأن يجعلنا هادين غير مضلين , وأصلي وأسلم على النور المبين , إمام الأوليين والآخرين , سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن والاه إلى يوم الدين.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا : المراجع الأخرى:

١- أبو زهرة " الشيخ محمد أحمد مصطفى المتوفى عام ١٣٩٤هـ" : "تاريخ المذاهب الإسلامية , دار الفكر العربي دون تاريخ.

٢- أبو حنيفة" الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن مرزبان المتوفى عام ١٥٠هـ" : العلم والمتعلم , تحقيق : الكوثري , ط الأنوار عام ١٣٦٨هـ.

٣- أحمد فؤاد الأهواني : فجر الفلسفة قبل سقراط , دار إحياء الكتب العلمية , ط ١ عيسى الحلبي عام ١٩٥٤م .

٤- الآمدي " الإمام سيف الدين الآمدي المتوفى عام ٦٣١هـ" , تحقيق : د. أحمد محمد المهدي, ط دار الكتب والوثائق القومية , مركز تحقيق التراث عام ٢٠٠٢م.

٥- أميرة مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها , دار قباء للطباعة والنشر , القاهرة عام ١٩٩٨م

٦- إبراهيم الصفار" أبو إسحق إبراهيم بن إسماعيل الصفار البخاري المتوفي عام ٥٣٤هـ ": تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد , تحفيف : أنجيليكا برودشن , المعهد الألماني للأبحاث الشرقية , بيروت - لبنان , ط ١ عام ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٧- ابن العديم " الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة العقيلي المتوفى عام ٦٦٠هـ" : بغية الطلب في تاريخ حلب , تحقيق : د. سهيل زكار, دار الفكر دون تاريخ .

٨- إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين , دار إحياء التراث العربي , بيروت – لبنان دون تاريخ.

٩- ابن أبو الوفا: "محي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبو الوفا القرشي الحنفي المتوفى عام ٧٧٥هـ " : الجواهر المضية في طبقات الحنفية , تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو , هجر للطباعة والنشر , ط ٢ عام ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٠- ابن حجر " أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين المتوفى سنة ٨٥٢هـ " : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة , بدون ذكر دار النشر ودون تاريخ .

١١- ابن حزم " الإمام أبو محمد علي بن أحمد المتوفي عام ٤٥٦هـ " : الفصل في الملل والأهواء والنحل , تحقيق : د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة , , دار الجيل , بيروت – لبنان , دون تاريخ .
١٢- ابن خرداذبه "أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المتوفي عام ٣٠٠هـ": " المسالك والممالك , ليدن عام ١٨٨٩م.
١٣- إبن قطلوبغا " أبو العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني المتوفى عام ٨٧٩هـ " تاج التراجم في طبقات الحنفية , تحقيق : محمد خير رمضان يوسف , دار القلم , ط ١ بيروت –لبنان عام ١٤١٣ه- ١٩٦٢م.
١٤- ابن منظور" محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منور الأنصاري المتوفى عام ٧١١هـ" : لسان العرب , صححه : محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي, ط ٣ دار إحياء التراث العربي , بيروت – لبنان عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
١٥- هدية العارفين أسماء المؤلفين أثار المصطفين , طبعة دار إحياء التراث العربي دون تاريخ.
١٦- اصطخري "أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الأصطرخي المتوفي ٣٤٦هـ ": المسالك والممالك , طبعة ليدن –عام ١٩٠٦م.
١٧- البزدوي " أبو اليسر محمد البزدوي المتوفى عام ٤٩٣هـ" , أصول الدين , تحقيق : د. هانز بيتر لنس , ضبطه وعلق عليه : د. أحمد حجازي السقا , , المكتبة الأزهرية عام ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
١٨- (١) البغدادي " أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي المتوفى عام ٤٢٩هـ" : أصول الدين , ط ١ , مدرسة الإلهيات بدار الفنوى , استانبول – تركيا عام ١٣٤٦هـ- ١٩٢٨م .
١٩- بلقاسم الغالي: الإمام الماتريدي حياته وآراؤه العقدية , دار التركي للنشر, تونس , ط٣ , عام ١٩٨٩م.
٢٠- الترمذي " أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفي عام ٢٧٩هـ" : سنن الترمذي (الجامع الصحيح) , تحقيق : محمد فؤاد الأهواني , ط ٢ مصطفى البابي الحلبي عام ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
٢١- توفيق الطويل : أسس الفلسفة , مكتبة النهضة المصرية , دون تاريخ.
٢٢- الجرجاني " علي بن أحمد بن محمد بن علي , المتوفى عام ٨١٦" : التعريفات ,حققه وقدم له : إبراهيم الأبياري , دار الريان للتراث

٢٣- جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة , ط ٣ , دار الطليعة , بيروت – لبنان دون تاريخ.
٢٤- جورج سارتون : تاريخ العلم , ترجمة د. توفيق الطويل وآخرون , ط :دار المعارف – القاهرة عام ١٩٦١م .
٢٥- الجوهري " أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ " : الصحاح , راجعه وصححه : د. محمد محمد تامر , و أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد , , دار الحديث , القاهرة عام ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
٢٦- الإمام الجويني :" أبو المعالي عبد الملك إبن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف ابن عبد الله بن يوسف الجويني , المتوفى ٤٧٨هـ" : الشامل في أصول الدين , حققه وقدم له : د. علي سامي النشار , د. فيصل بدير عون , سهير محمد مختار , منشأة المعارف , الإسكندرية , مصر عام ١٩٩٦م.
٢٧- الإمام الجويني " إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف المتوفي سنة ٤٧٨هـ " في البرهان ,حققه : د. عبد العظيم الديب , طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمدان آل ثاني أمير دولة قطر, ط ١ عام ١٣٩٩هـ.
٢٨- حاجي خليفة :" مصطفى عبد الله " : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون , دار الفكر.
٢٩- د. حسن الشافعي : الآمدي وآراؤه الكلامية, دار السلام للطباعة والنش ,ط ١ عام ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٣٠- دائرة المعارف الإسلامية , مجموعة من المسشرقين , مركز الشارقة للإبداع الفكري , ط ١عام ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م ,
٣١- ديكارت : مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم ,ترجمه إلى العربية وقدم له وعلق عليه : جميل صليبا بدون ذكر دار النشر و تاريخ النشر .
٣٢- الذهبي " الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى عام ٧٤٨هـ" : سير أعلام النبلاء , حققه : شعيب الأرانؤوط , بتصرف , ط مؤسسة الرسالة .
٣٣- الذهبي " محمد حسين الذهبي المتوفي ١٣٩٧هـ" : التفسير والمفسرون , دار الحديث , القاهرة , دون تاريخ .

٣٤- الإمام فخر الدين الرازي" محمد بن عمر بن الحسين ن الحسن بن علي المتوفي سنة ٦٠٦هـ " : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والمتكلمين, المطبعة الحسيينية المصرية , الطبعة الأولى دون تاريخ.
٣٥- و رضا كحالة " عمر رضا كحالة ": معجم المؤلفين , المكتبة العربية , دمشق , سوريا عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م
٣٦- الزبيدي "محمد بن محمد بن الحسيني الشهير بمرتضى الزبيدي المتوفي عام ١٢٠٥ه ": " اتحاف السادة المتقين " , دار الفكر دون تاريخ.
٣٧- الزركلي " خير الدين الزركلي المتوفي عام ١٩٧٦م " : الأعلام , دار العلم , بيروت ط ٧ عام ١٩٨٦م .
٣٨- زكي نجيب محمود و أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية , ط هنداوي , دون تاريخ .
٣٩- الإمام سعد الدين التفتازاني " مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني المتوفي عام ٧٩٣هـ " : شرح المقاصد , تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة , تصدير الشيخ صالح موسى شرف , عالم الكتب , ط ٢عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٤٠- السمعاني" عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفي عام ٥٦٢هـ" " : الأنساب ,حقق نصوصه وعلق عليه : محمد عوامة , بدون ذكر دار النشر ودون تاريخ .
٤١- الصابوني" الإمام أحمد بن محمود بن بكر الصابوني المتوفي عام ٥٨٠هـ" : البداية في الكفاية في أصول الدين : تحقيق : فتح الله خليف , دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩م
٤٢- ضيحة بنت سردي الثمري : ظاهرة الإلحاد , دوافعها وآثارها وطرق علاجها , مجلة الدراسات العربية , كلية دار العلوم , جامعة المنيا دون تاريخ.
٤٣- طاش كبرى زادة " أحمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبرى زادة والمتوفي عام ٩٦٨هـ" : طبقات الفقهاء , نشره الحاج أحمد نيلة أمين المكتبة العامة بالموصل , ط ٢ عام ١٣٨٠هـ - ١٩١٦م.
٤٤- عادل العوا: الكلام والفلسفة , ط ١ , القاهرة دون تاريخ.
٤٥- عبد الرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى, ط مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٦٩م.

٤٦- عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني, مكتبة النهضة المصرية دون تاريخ .
٤٧- عبد الرحمن بدوي : خريف الفكر اليوناني ,مكتبة النهضة المصرية , ط٤ عام ١٩٧٠م.
٤٨- عبد الرحمن الزبيدي : مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي , دراسة نقدية في ضوء الإسلام ,تقديم : الأستاذ عمر بن عبد الله الخطيب ص, مكتبة المؤيد , ط ١ عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٤٩- عبد الرحمن عبد الخالق : الإلحاد , أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها , ط ٢ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد , الرياض , المملكة العربية السعودية , وقف لله تعالى .
٥٠- عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين , مؤسسة الرسالة , مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
٥١- علي حمزة زكريا : أنواع الإلحاد , شبكة الفكر عام ١٤٣٨هـ -٢٠١٦م .
٥٢- الإمام الغزالي :" حجة الإسلام , محمد توفي عام ٥٠٥ هـ" : المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال , تحقيق : أ.د محمد محمد أبو ليلة و أ.د نورشيف عبد الرحيم رفعت , ص ١٦١ , ط : جمعية البحث في القيم الفلسفية .
٥٣- غيضان السيد علي : الإلحاد ومشكلة الشر, مجلة متون , جامعة سعيدة , مولاي الطاهر , المجلد ١٤ , العدد ٤٠, دون تاريخ .
٥٤- فتح الله خليف: مقدمة كتاب التوحيد للإمام الماتريدي – دار الجامعات المصرية – الإسكندرية دون تاريخ.
٥٥- الكوثري "محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري المتوفي عام ١٣٧١هـ" : "العالم والمتعلم, رواية أبي مقاتل عن أبي حنيفة رضي الله عنهما , مطبعة الأنوار , القاهرة – مصر عام ١٣٦٨ه .
٥٦- الماتريدي" الإمام أبو منصور : تأويلات أهل السنة , تحقيق : د. مجدي بسلوم , ط١ , دار الكتب العلمية , لبنان - بيروت عام ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٥٧- الماتريدي " الإمام محمد بن محمد بن محمود أبو منصور المتوفي عام ٣٣٣هـ" : التوحيد , تحقيق : د. فتح الله خليف , ط دار الجامعات المصرية , الإسكندرية – مصر دون تاريخ .

٥٨- الذهبي " محمد السيد حسين الذهبي المتوفى عام ١٣٩٨هـ ": التفسير والمفسرون ,مكتبة وهبة , القاهرة – مصر عام ٢٠٠٠م.
٥٩- محمد علي : ريحانة الأدب , انتشارات خيام عام ١٣٧٢ هـ .
٦٠- المراغي "عبد الله مصطفى المراغي المتوفي عام١٩٤٥م " : الفتح المبين في طبقات الأصوليين , ملتزم الطبع والنشر : عبد الحميد أحمد حنفي , دون تاريخ .
٦١- محمد غلاب الفلسفة الشرقية , مطبعة البيت الأخضر , القاهرة , مصر عام ١٩٣٨م.
٦٢- مراد وهبة : المعجم الفلسفي , دار قباء الحديثة , القاهرة عام ٢٠٠٧م.
٦٣- مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي , الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية , القاهرة , مصر عام ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٦٤- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط, مكتبة الشروق الدولية , ط ٤ عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٤م.
٦٥- موسوعة العرب والأجانب , قدم له : الرئيس شارل الحلو , إعداد : الأستاذ روني ايلي الفا , راجعه : د. جورج نخل , بتصرف , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط ١ عام ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
٦٦- موسوعة الإلحاد واللاأدرية , ترجمة : عبدالله الحميدي , حكمة عام ٢٠٢٠م.
٦٧- الموسوعة الفلسفية , وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين , إشراف : روزنتال , ويودين , ترجمة : سمير كرم , مراجعة د. صادق جلال العظم و جورج طرابيشي , دار الطليعة للطباعة والنشر , بيروت – لبنان دون تاريخ .
٦٨- النسفي " أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفي المتوفي عام ٧١٠هـ" : شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد , تحقيق :أ. د عبد الله محمد عبد الله إسماعيل , ط١ المكتبة الأزهرية للتراث عام ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م .
٦٩- نبيل علي صالح : ظاهرة الإلحاد, الاستغراب عام ٢٠١٧م .
٧٠- خياط ندى بنت حمزة بن عبده : مفهوم الإلحاد واتجاهاته المعاصرة ,مجلة الدراسات العقدية , الجامعة الإسلامية , كلية الدعوة وأصول الدين , الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب , دار المنظومة .

٧١- النسفي " ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن محمد بن مكحول أبو المعين النسفي المتوفي عام ٥٠٨هـ" : التمهيد لقواعد التوحيد , تقديم : أ. د محمد ربيع الجوهري الأستاذ بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة وعميدها الأسبق ,و عضو هيئة كبتر العلماء ,دراسة وتحقيق : أ. د حبيب الله حسن أحمد الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة, ط ١, دار الطباعة المحمدية عام ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٧٢- ولتر سنيس : تاريخ الفلسفة اليونانية , ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد , ,ط :دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة عام ١٩٨٤م.
٧٣- ياقوت الحموي : معجم البلدان, مطبعة السعادة ,ط ١ عام ١٩٠٦م.
٧٤- : يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة دار المعارف ,دون تاريخ .
٧٥- حاجي خليفة " مصطفى بن عبد الله المتوفى ١٠٦٧هـ " , كشف الظنون , دار إحياء التراث العربي , بيروت - لبنان دون تاريخ .

فهرس المصادر الأجنبية

1- Kenny,Anthony,1983,Faith and Reason(Bamptyon Iectures in America,no.22),New York: Columbia University Press

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

awlan: alquran alkarim.

thanyan : almarajie al'ukhraa:

1. 'abu zahra " alshaykh muhamad 'ahmad mustafaa almutawafaa eam 1394ha" : "tarikh almadhahib al'iislamiat , dar alfikr alearabii dun tarikhi.
2. 'abu hanifa" al'iimam 'abu hanifat alnueman bin thabit bin marziban almutawafaa eam 150hi" : aleilm walmutaealim , tahqiq : alkawthari , t al'anwar eam 1368h.
3. 'ahmad fuaad al'ahwaniu : fajar alfalsafat qabl suqrat , dar 'iihya' alkutub aleilmiat , t 1 eisaa alhalabi eam 1954m.
4. alamdi " al'iimam sayf aldiyn alamdi almutawafaa eam 631hi" , tahqiq : du. 'ahmad muhamad almahdi, t dar alkutub walwathayiq alqawmiat , markaz tahqiq alturath eam 2002m.
5. 'amirat mutari: alfalsafat alyunaniat tarikhuha wamushkilatiha , dar qaba' liltibaeat walnashr , alqahirat eam 1998m
6. 'iibrahim alsafar" 'abu 'iishaq 'iibrahim bin 'iismaeil alsafaar albukhariu almutawafiy eam 534h ": talkhis al'adilat liqawaeid altawhid , tahfif : 'anjilika brudshan , almaehad al'almaniu lil'abhath alsharqiat , bayrut - lubnan , t 1 eam 1432h- 2011m.
7. aibn aleadim " alsaahib kamal aldiyn eumar bin 'ahmad bin 'abi jaradat aleaqili almutawafaa eam 660hi" : bughyat altalab fi tarikh halab , tahqiq : du. suhayl zakar, dar alfikr dun tarikh.
8. 'iismaeil basha albaghdadi : hadiat alearifin 'asma' almualifin wa'athar almusanifin , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut - lubnan dun tarikhi.
9. aibn 'abu alwafa: "mhi aldiyn 'abu muhamad eabd alqadir bin muhamad bin nasr allah bin salim bin 'abu alwfa alqurashiu alhanafiu almutawafaa eam 775h " : aljawahir almadiat fi tabaqat alhanafiat , tahqiq : eabd alfataah muhamad alhulw , hajr liltibaeat walnashr , t 2 eam 1413h- 1993m.
10. abn hajar " 'ahmad bin ealiin bin muhamad bin hajar aleasqalanii shihab aldiyn almutawafaa sanat 852h " : aldarar alkaminat fi 'aeyan almiayat althaaminat , bidun dhikr dar alnashr wadun tarikh.
11. abn hazam " al'iimam 'abu muhamad ealii bin 'ahmad almutawafiy eam 456h " : alfasl fi almalal wal'ahwa' walnahl , tahqiq : du. muhamad 'iibrahim nasr w da.

eabd alrahman eumayrat , , dar aljil , bayrut - lubnan , dun tarikh.
12. abn khardadhatih "'abu alqasim eubayd allah bn eabd allh almutawafiy eam 300ha": " almasalik walmamalik , liadin eam 1889m.
13. 'iibn qatlubgha " 'abu aleadl zayn aldiyn qasim bin qatlubgha alsuwduni almutawafaa eam 879h " taj altarajim fi tabaqat alhanafiat , tahqiq : muhamad khayr ramadan yusif , dar alqalam , t 1 bayrut -lubnan eam 1413h- 1962m.
14. abn manzurin" muhamad bin makram bin eali 'abu alfadl jamal aldiyn abn munawar al'ansariu almutawafaa eam 711hi" : lisan alearab , sahahah : muhamad eabd alwahaab w muhamad alsaadiq aleubaydiu, t 3 dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut - lubnan eam 1419h - 1999m.
15. hadiat alearifin 'asma' almualifin 'athar almustafayn , tabeat dar 'iihya' alturath alearabii dun tarikhi.
16. astakhari "'abu ashaq abarahim bin muhamad alfarisii al'astarakhii almutawafiy 346h ": almasalik walmamalik , tabeat liadn -eam 1906m.
17. albazdawiu " 'abu alyusr muhamad albazdawi almutawafaa eam 493hi" , 'usul aldiyn , tahqiq : du. hanz bitar lins , dabtah waealaq ealayh : du. 'ahmad hijazi alsaqaa , , almaktabat al'azhariat eam 1424h - 2003m.
18. albaghdadi " 'abu mansur eabd alqahir bin tahir altamimi albaghdadiu almutawafaa eam 429ha" : 'usul aldiyn , t 1 , madrasat al'iilhiaat bidar alfatwaa , aistanbul - turkia eam 1346hi- 1928m.
19. bilqasim alghali: al'iimam almatridiu hayatah warawuh aleaqdiat , dar alturkii lilnishri, tunis , ta3 , eam 1989m.
20. altirmidhiu " 'abu eisaa muhamad bn eisaa bn surat almutawafiy eam 279hi" : sunan altirmidhii (aljamie alsahih) , tahqiq : muhamad fuaad al'ahwanii , t 2 mustafaa albabi alhalabii eam 1388h - 1968m.
21. tawfiq altawil : 'asas alfalsafat , maktabat alnahdat almisriat , dun tarikhi.
22. aljirjani " eali bin 'ahmad bin muhamad bin ealii , almutawafaa eam 816" : altaerifat ,haqaqah waqadam lah : 'iibrahim al'abyari , dar alrayaan lilturath
23. jurj tarabishi : muejam alfalasifat , t 3 , dar altalieat , bayrut - lubnan dun tarikhi.
24. jurj sartun : tarikh aleilm , tarjamat du. twfyq altawil wakhrun , t :dar almaearif - alqahirat eam 1961m.
25. aljawhari " 'abi nasr 'iismaeil bin hamaad aljawharii almutawafaa sanat 393h " : alsihah , rajieh wasahahah : du. muhamad muhamad tamir , w 'anas muhamad

alshaami w zakariaa jabir 'ahmad , , dar alhadith , alqahirat eam 1430h - 2009m.

26. al'iimam aljuayniu :" 'abu almaeali eabd almalik 'iibn alshaykh 'abi muhamad eabd allah bin 'abi yaequb yusif aibn eabd allh bin yusuf aljuaynii , almutawafaa 478hi" : alshaamil fi 'usul aldiyn , haqaqah waqadam lah : da. eali sami alnashaar , du. faysal bidir eawn , suhayr muhamad mukhtar , munsha'at almaearif , al'iiskandariat , misr eam 1996m.
27. al'iimam aljuayni " 'iimam alharamayn 'abi almaeali eabd almalik bin eabd allah bin yusif almutawafiy sanat 478h " fi alburhan ,haqaqah : du. eabd aleazim aldiyb , tabie ealaa nafaqat sahib alsumui alshaykh khalifat bin hamdan al thani 'amir dawlat qatra, t 1 eam 1399h.
28. haji khalifat :" mustafaa eabd allh " : kashaf alzunun ean 'asamayi alkutub walfunun , dar alfikri.
29. da. hasan alshaafiei : alamdi warawuh alkalamiatu, dar alsalam liltibaeat walnashi ,t 1 eam 1418hi- 1998m.
30. dayirat almaearif al'iislamiat , majmueat min almusshariqin , markaz alshaariqat lil'iibdae alfikrii , t 1eam 1418h - 1998m,
31. dikart : maqalat altariqat lihasan qiadat aleaql walilbahth ean alhaqiqat fi aleulum ,tarjamah 'iilaa alearabiat waqadam lah waealaq ealayh : jamil saliban bidun dhikr dar alnashr w tarikh alnashr .
32. aldhahabi " al'iimam shams aldiyn muhamad bin 'ahmad bin euthman aldhahabi almutawafaa eam 748hi" : sayr 'aelam alnubala' , haqaqah : shueayb al'aranwuwt , bitasaruf , t muasasat alrisala.
33. aldhahabiu " muhamad husayn aldhahabi almutawafiy 1397hi" : altafsir walmufasirun , dar alhadith , alqahirat , dun tarikh.
34. al'iimam fakhr aldiyn alraazi" muhamad bin eumar bin alhusayn n alhasan bin ealiin almutawafiy sanat 606h " : muhsal 'afkar almutaqadimin walmuta'akhirin min aleulama' walmutakalimina, almatbaeat alhisiayniat almisriat , altabeat al'uwlaa dun tarikhi.
35. w rida kahala " eumar rida kahala ": muejam almualifin , almaktabat alearabiat , dimashq , suria eam 1376h - 1957m
36. alzubaydiu "muhamad bn muhamad bn alhusaynii alshahir bimurtadaa alzubaydii almutawafiy eam 1205h ": " atihaf alsaadat almutaqin " , dar alfikr dun tarikhi.
37. alzarikliu " khayr aldiyn alzariklii almutawafiy eam 1976m " : al'aelam , dar aleilm , bayrut t 7 eam 1986m.
38. zaki najib mahmud w 'ahmad 'amin : qisat alfalsafat alyunaniat , t hindawi , dun tarikh.

39. al'iimam saed aldiyn altiftazani " maseud bin eumar bin eabd allah alshahir bisaed aldiyn altaftazanii almutawafiy eam 793h " : sharh almaqasid , tahqiq wataeliq du. eabd alrahman eumayrat , tasdir alshaykh salih musaa sharaf , ealam alkutub , t 2eam 1419h - 1998m.
40. alsimeani" eabd alkarim bin muhamad bin mansur altamimi alsimeanii almutawafiy eam 562hi" " : al'ansab ,haqaq nususih waealaq ealayh : muhamad eawaamat , bidun dhikr dar alnashr wadun tarikh.
41. alsaabuni" al'iimam 'ahmad bin mahmud bin bakr alsaabuni almutawafiy eam 580hi" : albidayat fi alkifayat fi 'usul aldiyn : tahqiq : fath allah khalif , dar almaearif bimisr eam 1969m
42. dayhat bint sardiu althamariu : zahirat al'iilhad , dawafieuha watharuha waturuq eilajiha , majalat aldirasat alearabiat , kuliyat dar aleulum , jamieat alminya dun tarikhi.
43. tash kubraa zada " 'ahmad bin mustafaa bin khalil almaeruf bataash kubraa zadat walmutawafiy eam 968hi" : tabaqat alfuqaha' , nasharah alhaju 'ahmad nilat 'amin almaktabat aleamat bialmawsil , t 2 eam 1380h - 1916m.
44. eadil aleawa: alkalam walfalsafat , t 1 , alqahirat dun tarikhi.
45. eabd alrahman badawi : falsafat aleusur alwustaa, t maktabat alnahdat almisriat eam 1969m.
46. eabd alrahman badawi : rabie alfikr alyunani, maktabat alnahdat almisriat dun tarikh.
47. eabd alrahman badawi : kharif alfikr alyunanii ,maktabat alnahdat almisriat , ta4 eam 1970m.
48. eabd alrahman alzubaydii : masadir almaerifat fi alfikr aldiynii walfalsafii , dirasat naqdiat fi daw' al'iislam ,taqdim : al'ustadh eumar bin eabd allah alkhatib sa, maktabat almuayid , t 1 eam 1412h - 1992m.
49. eabd alrahman eabd alkhaliq : al'iilhad , 'asbab hadhih alzaahirat waturuq eilajiha , t 2 alriyasat aleamat li'iidarat albuhuth aleilmiat wal'iifta' waldaewat wal'iirshad , alriyad , almamlakat alearabiat alsaeudiat , waqf lilah taealaa.
50. eumar rida kahalat : muejam almualifin , muasasat alrisalat , matbaeat altaraqiy bidimashq eam 1376h - 1957m.
51. ealiu hamzat zakariaa : 'anwae al'iilhad , shabakat alfikr eam 1438h -2016m.
52. al'iimam alghazaliu :" hujat al'iislam , muhamad tuufiy eam 505 ha" : almunqidh min aldalal walmawsil 'iilaa dhi aleizat waljalal , tahqiq : 'a.du muhamad muhamad

'abu laylat w 'a.d nurshif eabd alrahim rafaeat , s 161 , t : jameiat albahth fi alqiam alfalsafia.
53. ghayadan alsayid eali : al'iilhad wamushkilat alshar, majalat mutun , jamieat saeidat , mawlay altaahir , almujalad 14 , aleadad 40, dun tarikh.
54. fatah allah khalif: muqadimat kitab altawhid lil'iimam almatridii - dar aljamieat almisriat - al'iiskandariat dun tarikhi.
55. alkuthari "muhamad zahid bin alhasan bin ealiin alkawtharii almutawafiy eam 1371hi" : "alealam walmutaealima, riwayat 'abi muqatil ean 'abi hanifat radi allah eanhuma , matbaeat al'anwar , alqahirat - misr eam 1368h.
56. almatridi" al'iimam 'abu mansur : tawilat 'ahl alsanat , tahqiq : da. majdi bisalum , ta1 , dar alkutub aleilmiat , lubnan - bayrut eam 1426h- 2005m.
57. almatridi " al'iimam muhamad bin muhamad bin mahmud 'abu mansur almutawafiy eam 333hi" : altawhid , tahqiq : du. fath allah khalif , t dar aljamieat almisriat , al'iiskandariat - misr dun tarikh.
58. aldhahabi " muhamad alsayid husayn aldhahabi almutawafaa eam 1398h ": altafsir walmufasirun ,maktabat wahbat , alqahirat - misr eam 2000m.
59. muhamad ealiin : rayhanat al'adab , antisharat khiam eamin 1372 hu.
60. almaraghi "eabd allah mustafaa almaraghi almutawafiy eam1945m " : alfath almubayn fi tabaqat al'usuliiyn , multazim altabe walnashr : eabd alhamid 'ahmad hanafi , dun tarikh.
61. muhamad ghalaab alfalsafat alsharqiat , matbaeat albayt al'akhdar , alqahirat , misr eam 1938m.
62. murad wahbat : almuejam alfalsafiu , dar qaba' alhadithat , alqahirat eam 2007m.
63. majmae allughat alearabiat : almuejam alfalsafiu , alhayyat aleamat lishuyuwn almatabie al'amiriat , alqahirat , misr eam 1403h - 1983m.
64. majmae allughat alearabiat : almuejam alwasita, maktabat alshuruq alduwliat , t 4 eam 1420h - 2004m.
65. mawsueat alearab wal'ajanib , qadim lah : alrayiys sharl alhulw , 'iiedad : al'ustadh runi ayli alfa , rajieah : du. jurj nakhl , bitasaruf , dar alkutub aleilmiat , bayrut - lubnan , t 1 eam 1412h - 1992m.
66. mawsueat al'iilhad wallaa'aduriat , tarjamat : eabdallah alhumaydi , hikmat eam 2020m.
67. almawsueat alfalsafiat , wade lajnat min aleulama' wal'akadimiiyn alsuwfyatiiyn , 'iishraf : ruzintal , wayudin , tarjamat : samir karm , murajaeat du. sadiq

jalal aleazm w jurj tarabishi , dar altalieat liltibaeat walnashr , bayrut - lubnan dun tarikh.

68. alnasafi " 'abu albarakat eabd allah bin 'ahmad bin mahmud 'abu albarakat hafiz aldiyn alnasafiu almutawafiy eam 710hi" : sharh aleumdat fi eaqidat 'ahl alsant waljamaeat almusamaa bialaietimad fi alaietiqad , tahqiq :'a. d eabd allah muhamad eabd allah 'iismaeil , ta1 almaktabat al'azhariat lilturath eam 1432h - 2012m.
69. nabil eali salih : zahirat al'iilhadi, aliastighrab eam 2017m .
70. khayaat nadaa bint hamzat bin eabdih : mafhum al'iilhad watijahatih almueasirat ,majalat aldirasat aleaqdiat , aljamieat al'iislamiat , kuliyat aldaewat wa'usul aldiyn , aljameiat aleilmiat alsueudiat lieulum aleaqidat wal'adyan walfirq walmadhahib , dar almanzuma.
71. alnisafi " maymun bin muhamad bin muhamad bin muetamid bin muhamad bin makhul 'abu almueayn alnasafii almutawafiy eam 508hi" : altamhid liqawaeid altawhid , taqdim : 'a. d muhamad rabie aljawhari al'ustadh bikuliyat 'usul aldiyn waldaewat bialqahirat waeamidiha al'asbaq ,w eudw hayyat kabatar aleulama' ,dirasat watahqiq : 'a. d habib allah hasan 'ahmad al'ustadh bikuliyat aldirasat al'iislamiat walearabiat lilbanin bialqahirati, t 1, dar altibaeat almuhamadiat eam 1406 hu - 1986m.
72. walatar sinis : tarikh alfalsafat alyunaniat , tarjamat : mujahid eabd almuneim mujahid , ,t :dar althaqafat lilnashr waltawzie - alqahirat eam 1984m.
73. yaqut alhamawi : muejam albuldan, matbaeat alsaeadat ,t 1 eam 1906m.
74. :yusif karam : tarikh alfalsafat alhadithat dar almaearif ,dun tarikh.
75. hajiy khalifa " mustafaa bin eabd allah almutawafaa 1067hi " , kashaf alzunun , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut - lubnan dun tarikh .